جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

صفات يوسف ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم
دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية

إعداد
د/ زينب محمد محرز حسن سلامة
المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية ـ محكمة ـ ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

صفات يوسف ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية.

زينب محمد محرز حسن سلامة

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: zainabmohrez73@azhar.edu.eg

الملخص:

هذا بحث يتناول صفات يوسف ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية؛ حيث ألقي الضوء فيه على شخصية النبي الكريم من خلال ما أورده القرآن الكريم في حقه؛ صابغةً هذه الدراسة بمعالجة المعنى في ضوء المصاحبة اللغوية، وقد التزمت في البحث المنهج الوصفي؛ بوضع يدي على مواضع المصاحبة في القصص القرآني الذي يعرض صفات يوسف ـ عليه السلام ـ، وكانت مادة الدراسة هي الآيات التي تناولت صفات يوسف عليه السلام ـ دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية، وجل هذه الصفات واردة في سورة يوسف؛ لذا اقتصرت على ذكر رقم الآية الواردة دون ذكر اسم السورة إذا كانت الآية من سورته ـ عليه السلام ـ فإن كانت من غيرها ذكرت اسم السورة ورقم الآية، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج؛ منها: أن مادة اللغة العربية مرنة فسيحة تستطيع أن تحوي ظاهرة المصاحبة وغيرها من الظواهر؛ من خلال أمثلتها الثرّة وإمكانياتها الواسعة، كان لغويونا العرب على وعي بظاهرة المصاحبة؛ وإن لم تكن معروفة عندهم بهذا الاسم، أرجو أن نعتني بدراسة المصاحبات الواردة في كتاب الله – عز وجل– لتكون نواة لصنع معجم عربي يسجلها ويبين اختصاص كلٍّ بسياق معين؛ حيث تعين على إظهار بعض وجوه الإعجاز القرآني، الإحسان هو أساس الصفات الحميدة؛ بل هو أساس الدين؛ ولذا كانت صفة الإحسان عند يوسف ـ عليه السلام ـ هي الغالبة على كل الصفات.

الكلمات المفتاحية: يوسف عليه السلام، القرآن الكريم، دراسة للمعنى، المصاحبة اللغوية.

The Attributes of Prophet Yusuf (Peace Be Upon Him) in the Quran: A Semantic Study in Light of Lexical Collocation

Zainab Mohamed Mohrez Hasan Salama
Department of Language Origins, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Women in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: zainabmohrez73@azhar.edu.eg

Abstract:
This research addresses the attributes of Prophet Yusuf (peace be upon him) in the Quran, analyzing their meaning in light of lexical collocation. The study sheds light on the character of the noble prophet as depicted in the Quran, incorporating a semantic approach that focuses on lexical collocations, In this research, I have adhered to the descriptive approach; by putting my hand on the places of accompaniment in the Qur'anic stories that present the attributes of Joseph - peace be upon him - and the subject of the study was the verses that dealt with the attributes of Joseph - peace be upon him - a study of the meaning in light of the linguistic accompaniment, and most of these attributes are mentioned in Surat Yusuf; therefore, I limited myself to mentioning the number of the mentioned verse without mentioning the name of the surah if the verse is from his surah - peace be upon him - and if it is from another surah, I mentioned the name of the surah and the number of the verse. The research arrived at several conclusions, including: The Arabic language is a flexible and expansive medium capable of accommodating phenomena such as collocation and others, thanks to its rich examples and broad capabilities, Early Arab linguists were aware of the phenomenon of lexical collocation, even though it was not known to them by this term, It is recommended to study the collocations in the Book of Allah, the Almighty, as a foundation for creating an Arabic lexicon that documents and explains these collocations, highlighting their contextual specificity. Such a lexicon could reveal aspects of the Quranic inimitability, Ihsan (excellence in doing good) is the foundation of virtuous attributes and, indeed, the foundation of the religion itself. For this reason, the quality of Ihsan was predominant in the character of Prophet Yusuf (peace be upon him).

Keywords: Yusuf (peace be upon him), Quran, Semantic Study, Lexical Collocation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فالقرآن الكريم فيه أعلى الآداب الإنسانية وأقوم السلوك الكامل للخلق أجمعين، وفيه تعليم الإنسان الاتجاه إلى الكون وتعرُّف ما فيه، وفيه الدعوة إلى العلم بكل ضروبه، وفيه أخبار الرسل مع أقوامهم، وفيه العظات الموجهة.

ومن هؤلاء الرسل يوسف . عليه السلام . الذي اختصه الله تعالى . بسورة تسرد قصته منفردًا ليس معه فيها غيره من الرسل؛ فاتجهتُ إلى صفاته . عليه السلام . أتعرفها محاولة أن أملأ نفسي من ينابيع الهداية فيه، وأن أزيل أمراض قلبي بما فيها من دواء، وما إن وجدت نفسي قريبة منه حتى بهرني ضياؤه وهو يجاهد ويناضل، ويلاقي الأذى، فأردت أن أخص هذه الصفات بدراسة تؤنسني في ضوء المصاحبة اللغوية.

تلك المصاحبة التي أشار إليها قديمًا إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بقوله: وهَلْ يقع في وَهْم وإنْ جُهِد، أن تتفاضلَ الكلمتانِ المُفردتان، مِنْ غيرِ أن يُنظَر إلى مكانٍ تقعانِ فيه منَ التأليفِ والنظمِ، بأكثرَ من أن تكونَ هذهِ مألوفةً مستعملةً، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكونَ حروفُ هذهِ أَخَفَّ، وامتزاجُها أَحسنَ، وهل تَجد أحداً يقولُ: هذه اللفظةُ فصيحةٌ، إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: "لفظةٌ متمكنةٌ، ومقبولةٌ"، وفي خلافهِ: "قلقة، ونابية، ومستكرهة"؛ إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسنِ الاتفاقِ بينَ هذه وتلك مِن جهةِ معناهُما، وبالقَلَقِ والنُّبوِّ عن سوء التَلاؤم، وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في مَعناها، فالألفاظ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وإنما الفضيلة في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك مما لا تَعلُّقَ له بصريح اللفظ، والدليل على ذلك أَنَّك تَرى الكلمةَ

تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ، ثم تَراها بعينِها تَثْقُلُ عليكَ وتُوحِشُك في موضعٍ آخرَ.(١)

أي أن الشيخ يدعو إلى الاهتمام بالسياق الذي من مفرداته المصاحبة اللغوية؛ حيث النظر إلى اللفظ نظرة كلية؛ لتشمل الألفاظ التي حوله، وتزداد هذه الأهمية إذا كان السياق قرآنيًّا؛ لأن ألفاظ القرآن الكريم هي أهم ما شغل الفكر الإنساني بوجه عام واللغوي بوجه خاص؛ حيث أول ما يسترعي الانتباه عند قراءة القرآن الكريم وسماعه معنى اللفظ؛ ومن ثم كانت العناية باللفظ أثرًا من آثار نشأة كثير من العلوم.

لذا كان هذا البحث الذي بعنوان "صفات يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم: دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية".

وما من شك في كثرة الدراسات المتنوعة حول يوسف . عليه السلام . في التفسير واللغة والأدب والبلاغة والفقه .. الخ؛ حيث إقبال طلاب كُثُر على دراسته، كلٌّ يحاول دراسته في مجال من مجالات العلم المختلفة . كما هو حال القرآن الكريم . لذا شق عليّ البحث فيه، لكني استعنت بالله . تعالى . محاولة أن ألقي الضوء على جوانب جديدة في شخصية النبي الكريم فأدرسها من الناحية اللغوية؛ وأستطيع سبر أغواره لأظهر جوانب القدوة في صفاته . عليه السلام . بالإضافة إلى دراسة معاني هذه الصفات في ضوء المصاحبة اللغوية.

وأنا في هذه المحاولة لا أدعي أنني أنشأت وابتكرت؛ بل قصاراي أنني فهمت وبذلت الجهد لإحسان العرض، وإبراز الجوانب المضيئة الإنسانية واللغوية في شخصية هذا النبي الكريم، أما المادة نفسها؛ فالفضل فيها لعلماء هذه الأمة الذين أبلوا في جمعها بلاءً حسنًا، وتركوا لنا هذه الثروة العلمية.

(١) انظر دلائل الإعجاز/ لعبد القاهر الجرجاني/ تح محمود شاكر ١ / ٤٤ : ٤٧.

ـ أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١. أردت بهذا البحث أن أتصل بكتاب الله تعالى اتصالًا وثيقًا، قائمًا على طول تأمل وتدبر له؛ لأؤكد على ثراء لغة القرآن الكريم، ودقتها في معانيها بله ألفاظها؛ ذلك أن القرآن الكريم يحرص على اختيار كل لفظة في سياقها؛ الذي يناسبها ومع صاحبتها التي تلائمها.

٢ـ لفت أنظار الباحثين إلى ما تركه القدامى من دراسات ثرية وكنوز لغوية مغمورة؛ ومنها ظاهرة المصاحبة في العربية؛ حيث عالجها لغويونا كثيرًا في كتبهم؛ من خلال شرحهم لقضية المعنى أو قضية النظم، إضافة إلى ما ذكروه من أمثلة عديدة لها، وهذا يدل على سبق لغوييننا القدامى للغرب في معرفتهم بالظاهرة؛ وإن لم يشيروا إلى المصطلح بعينه.

٣ـ محاولة إبراز بعض إمكانيات اللغة العربية الواسعة؛ التي جعلتها تستوعب ظواهر عديدة، وصدق الشافعي (ت ٢٠٤هـ) حين قال: "لايحيط باللغة إلا نبي".(١)

٤ـ منزلة يوسف . عليه السلام . بين أنبياء الله . تعالى . وأوليائه؛ فهو نموذج للصابر المحتسب الطاهر السريرة المتمسك بعقيدته، وإن طال زمن الظلم والباطل؛ لكن يقينه بربه كان أقوى من كل ما حوله، حتى إذا ما زال الكرب؛ توجه إلى ربه شاكرًا فضله متضرعًا إليه أن يلحقه بالصالحين.

ـ هدف البحث: أردت في هذا البحث أن أبرز صفات يوسف . عليه السلام . فأدرس معناها في ضوء المصاحبة اللغوية.

. وقد التزمت في البحث المنهج الوصفي؛ بوضع يدي على مواضع المصاحبة في القصص القرآني الذي يعرض صفات يوسف . عليه السلام ..

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن/ للسيوطي/ تح: محمد أبو الفضل ٢ / ١٢٦.

وكانت مادة الدراسة هي الآيات التي تناولت صفات يوسف عليه السلام . دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية، وجل هذه الصفات واردة في سورة يوسف؛ لذا اقتصرت على ذكر رقم الآية الواردة دون ذكر اسم السورة إذا كانت الآية من سورته . عليه السلام . فإن كانت من غيرها ذكرت اسم السورة ورقم الآية.

الدراسات السابقة: سبق بحثي هذا دراسات عديدة؛ منها:

١. المصاحبة في التعبير اللغوي/ د محمد حسن عبد العزيز.

٢ـ المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم: دراسة نظرية وتطبيقية/ رسالة دكتوراه للباحث حمادة محمد الحسيني.

٣. المصاحبة اللفظية في القرآن الكريم ودورها الرائد في توجيه المعنى والتفسير: دراسة تركيبية في ضوء علم اللغة الحديث/ د أشرف محمد السعدي.

٤ـ المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف (كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان نموذجًا)/ د علاء طلعت أحمد.

٥ـ جميل أخلاق يوسف . عليه السلام . من خلال سورة يوسف/ عبد المحسن بن زين المطيري/ مجلة كلية دار العلوم.

ـ اتفقت هذه الأبحاث الأربعة مع بحثي في أنها تناولت المصاحبة اللغوية، والبحث الخامس في جميل أخلاق يوسف . عليه السلام . واختلف بحثي معها في أنه تناول موضوعًا خاصًّا فقط وهو صفات يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم: دراسة للمعنى في ضوء المصاحبة اللغوية.

ـ حدود البحث: تقتصر مادة البحث العلمية على ما جمع من صفات يوسف، وليس المقصود بالتعانق اجتماع صفتين فقط؛ ولكن وجد بين الصفة وما قبلها من لفظ أو ما بعده؛ مثل التعانق بين الصفة والضمير، أو بين الصفة وأداة النداء،.. الخ.

ـ وقد شُغِل هذا البحث بأسئلة؛ منها: ما دور المصاحبة اللفظية في اتساق

النص وترابطه بوجه عام، وفي سبك القصة القرآنية بوجه خاص؟ وما صفات النبي يوسف . عليه السلام . التي أثبتها القرآن الكريم له؟ وما مدى تعانق الصفة مع ما يصاحبها داخل الآية في ظل هذا السياق؟

هذا؛ وقد قسمت بحثي إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس لمصادر البحث، ثم فهرس لموضوعاته.

أما المقدمة؛ فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له وأهميته، وحدوده، والمنهج الذي سرت عليه، ثم الدراسات السابقة، والخطة.

وأما التمهيد؛ يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم والمصاحبة اللغوية، وكان في مطلبين:

المطلب الأول: يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم وسياق الآيات المذكور فيها صفاته في غير سورته، ومقاصد سورة يوسف.

المطلب الثاني: المصاحبة اللغوية.

واشتمل صلب البحث على مبحثين:

المبحث الأول: صفات يوسف . عليه السلام . في غير سورته؛ حيث درست فيه صفات يوسف . عليه السلام . في سورتي الأنعام وغافر.

المبحث الثاني: صفات يوسف . عليه السلام . في سورته.

وقد خالفت . هنا . ترتيب المصحف الشريف؛ حيث ضممت سورة غافر إلى سورة الأنعام مقدِّمةً سورة غافر على سورة يوسف . عليه السلام .؛ لأن صفاته المذكورة في هاتين السورتين قليلة بالنسبة لصفاته في سورته، فأمكن جمع الصفات المذكورة في السورتين، كما آثرت ترتيب الصفات في سورة يوسف . عليه السلام . حسب مجيئها في السورة؛ لأن دلالتها مرتبطة بسياق القصة؛ إلا إذا تكررت الصفة في أكثر من موضع فإني أضم هذه المواضع في مكان واحد، بعد ذكرها أول مرة.

ثم كانت الخاتمة؛ التي أوضحت فيها أهم نتائج البحث، ثم فهرس المصادر ثم فهرس الموضوعات.

وبعد؛ فإنك أيها القارئ الكريم ستستشعر القدوة الحسنة في شخص النبي الكريم وتستلهم العزيمة والصبر واليقين بالله، تلك الصفات التي برزت فيه وهو يصبر ويصابر في معركة الحياة، وهو حق لا مراء فيه.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولًا في الدنيا والآخرة، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم والمصاحبة اللغوية

المطلب الأول

يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم

وسياق الآيات المذكور فيها صفاته في غير سورته ومقاصد سورة يوسف

ذُكِر يوسف . عليه السلام . في ثلاث سور من القرآن الكريم؛ هي سورة الأنعام، وسورة يوسف، وسورة غافر.

أولاً: سورة الأنعام: أما ذكره في سورة الأنعام؛ فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الآية: ٨٤).

وتوالت الآيات التي تصفه مع غيره من إخوانه الأنبياء . (الآيات ٨٥ : ٩٠) . كما سيتبين بعدُ . حيث ذَكَرَ اللهُ . تعالى . ثمانية عَشَرَ نَبِيًّا وصفهم بصفات جليلة، وكان من بينهم يوسف . عليه السلام . وجعلهم طوائف حسب ترتيب معين استنبطه العلماء من الآيات الكريمة:

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ: دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ وَأَيُّوبُ وَيُوسُفُ وَمُوسَى وَهَارُونُ، وَالْمَعْنَى الْجَامِعُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى آتَاهُمُ الْمُلْكَ وَالْإِمَارَةَ، وَالْحَكَمَ وَالسِّيَادَةَ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَقَدْ قَدَّمَ ذَكَرَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَكَانَا مَلِكَيْنِ غَنِيَّيْنِ مُنَعَّمَيْنِ، وَذَكَرَ بَعْدَهُمَا أَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَكَانَ الْأَوَّلُ أَمِيرًا غَنِيًّا عَظِيمًا مُحْسِنًا، وَالثَّانِي وَزِيرًا عَظِيمًا وَحَاكِمًا مُتَصَرِّفًا، وقد اشتركا فِي الِامْتِحَانِ فصبرا على الضراء كما شكرا في السراء: أَيُّوبُ بِالْبَلَاءِ فِي جَسَدِهِ وَنَبْذِ قَوْمِهِ لَهُ، وَيُوسُفُ بِالْبَلَاءِ بِالسِّجْنِ وَغُرْبَتِهِ عَنْ أَهْلِهِ، وَفِي مَآلِهِمَا بِالسَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ، وَقَدَّمَ أَيُّوبَ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الِامْتِحَانِ

وَأَمَّا مُوسَى وَهَارُونُ؛ فَكَانَا حَاكِمَيْنِ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا مَلِكَيْنِ، فَكُلُّ زَوْجَيْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَزْوَاجِ الثَّلَاثَةِ مُمْتَازٌ بِمَزِيَّةٍ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسُ، وَهَؤُلَاءِ قَدِ امْتَازُوا بِشِدَّةِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاضِ عَنْ لَذَّاتِهَا، وَالرَّغْبَةِ عَنْ زِينَتِهَا وَجَاهِهَا وَسُلْطَانِهَا.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: إِسْمَاعِيلُ وَالْيَسَعُ وَيُونُسُ وَلُوطٌ، وَأَخَّرَ ذَكَرَهُمْ؛ لِعَدَمِ الْخُصُوصِيَّةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُم من مُلْكِ الدُّنْيَا أَوْ سُلْطَانِهَا مَا كَانَ لِلْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَلَا مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ لِلْقَسَمِ الثَّانِي،[1] وإنما لهم أفضلية على العالمين في زمانهم،[2] ويمكن أن يفهم من الآيات وصف الأنبياء المذكورين جميعهم بصفات الهدى، والاقتداء بهم، والإحسان، والصلاح، والتفضيل على العالمين، وإيتاء الكتاب والحكم والنبوة.

ثانيًا: سورة غافر:

أما يوسف . عليه السلام . في سورة غافر؛ فقد أثبت له القرآن الكريم الأسبقية في المجيء بالبينات قبل إرسال موسى . عليهما السلام . على لسان مؤمن آل فرعون . كما سيعرض لنا بالتفصيل بعدُ . إضافة إلى ما في الآية من عظة وعبرة؛ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (الآية: ٣٤).

(١) انظر البحر المحيط في التفسير/ لأبي حيان/ تح: صدقي جميل ٤ / ٥٧٤، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ لمحمد رشيد ٧ / ٤٨٩ ، ٤٩٠.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ للزحيلي ٧ / ٢٧٩ ، ٢٨٠.

ثالثًا: سورة يوسف . عليه السلام . : وفيها جُلُّ صفاته . عليه السلام .

الاسْمُ الْوَحِيدُ لِهَذِهِ السُّورَةِ اسْمُ سُورَةِ يُوسُفَ، وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا ظَاهِرٌ لِأَنَّهَا قَصَّتْ قِصَّةَ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – كُلَّهَا، وَلَمْ تُذْكَرْ قِصَّتُهُ فِي غَيْرِهَا.

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ عَلَى الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي الِالْتِفَاتُ إِلَى غَيْرِهِ، وقد نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ هُودٍ، وَهِيَ السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

وَلَمْ تذكر قصَّة نبي فِي الْقُرْآنِ بِمِثْلِ مَا ذُكِرَتْ قِصَّةُ يُوسُفَ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– في هَذِهِ السُّورَة مِنَ الْإِطْنَابِ،[1] و"يقصد من هذه السورة إثبات تنزيل القرآن، كما يقصد من سورتي «يونس» و«هود» . عليهما السلام . ولهذا ذكرت بعدهما، وتختلف طريقة إثباته فيها عن طريقة إثباته فيهما؛ لأن طريقة إثباته فيهما، كانت بتحدّيهم أن يأتوا بسورة أو عشر سور مثله، أما طريقة إثباته في هذه السورة؛ فبأنه يقصّ عليهم من تفصيل أخبار يوسف . عليه السلام . ما لا يمكن لأمي مثله أن يعرفه.

وقد جاءت هذه السورة في هذا الغرض على ثلاثة أقسام: **أولها:** في مقدمة، يقصد منها التمهيد لقصة يوسف . عليه السلام . **وثانيها:** في قصة يوسف . عليه السلام . **وثالثها:** في خاتمة تناسب ما سيقت له هذه القصة"[2].

وهاك التفصيل:

تضم السورة جناحيها على لفتات ولمسات في صفحة الكون، وأغوار النفس، وضمير الغيب المطوي؛ الذي لا يدري البشر ما هو مخبوء خلف ستاره

(١) انظر التحرير والتنوير/ لمحمد الطاهر ١٢ / ١٩٧.

(٢) الموسوعة القرآنية: خصائص السور/ لجعفر شرف الدين/ تح: عبد العزيز التويجزي ٤ / ١٢٧

الرهيب، وكل هذه العظات المبثوثة في حنايا السورة، تتناسب مع القصة.[١]

وهي أطول قصة في القرآن، غنية بالعنصر الإنساني، حافلة بالانفعال والحركة، وطريقة الأداء تبرز هذه العناصر إبرازًا قويًّا، فضلًا عن خصائص التعبير القرآنية الموحية المؤثّرة؛ حيث يتجلّى فيها عنصر الحب الأبوي في درجات متنوّعة في حبّ يعقوب ليوسف . عليهما السلام . وأخيه، وحبّه لبقيّة أبنائه، وفي استجاباته للأحداث حول يوسف . عليه السلام . من أول القصة إلى آخرها، وعنصر الغيرة والتحاسد بين الإخوة من أمهات مختلفات، وعنصر التفاوت في الاستجابات المختلفة للغيرة بين الإخوة، كما نجد عنصر المكر والخداع في صور شتّى، من مكر إخوة يوسف . عليه السلام . به، إلى مكر امرأة العزيز بيوسف . عليه السلام . وبزوجها وبالنسوة، وعنصر الشهوة ونزواتها، ومقابلة مكرها بالاستعصام، وعنصر الندم في بعض ألوانه، والعفو في أوانه، والفرح بتجمّع المتفارقين، إضافة إلى بعض صور المجتمع المتحضّر في البيت والسجن والسوق والديوان، في مصر يومذاك، والمجتمع العبراني، وما يسود العصر من الرؤى والتنبّؤات.[٢]

وهي قصة حاصلها فرج بعد شدة، وجلالة اليقين في حسن تلقي الأقدار؛ بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة، وقد أشار في السورة إلى عاقبة من صبر ورضى؛ ليتنبه المؤمنون على ما في طيّ ذلك.[٣]

(١) انظر الموسوعة القرآنية: خصائص السور ٤ / ١١٧ ، ١١٨/ بتصرف.
(٢) انظر الموسوعة القرآنية: خصائص السور ٤ / ١١٩/ بتصرف.
(٣) انظر نظم الدرر/ لإبراهيم البقاعي ١٠ / ١٠، السابق ٤ / ١٢٦.

المطلب الثاني

المصاحبة اللغوية

أولاً: التعريف اللغوي للمصاحبة: الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ؛ مِنْ ذَلِكَ الصَّاحِبُ، وَالْجَمْعُ: الصَّحْبُ، كَمَا يُقَالُ: رَاكِبٌ وَرَكْبٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ لاءَم شيئًا أو لَازمَه فَقَدِ اسْتَصْحَبَهُ، ويقال لِلْأَدِيمِ إِذَا تُرِكَ عَلَيْهِ شَعَرُهُ: مُصْحَبٌ، وَيُقَالُ: أَصْحَبَ الْمَاءُ؛ إِذَا عَلَاهُ الطُّحْلَبُ[1]، واستَصْحَبَه: دَعَاهُ إِلَى الصُّحْبَة ولَازَمَه، قَالَ[2]:

إِنَّ لَكَ الفَضْلَ عَلَى صُحْبَتِي والمِسْكُ قَدْ يَسْتَصْحِبُ الرَّامِكَا[3]

. إذن الجذر اللغوي للمصاحبة يدور معناه حول التلازم والتلاؤم والتوافق.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي للمصاحبة:

. عرفها فيرث قائلًا: "أن تجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى؛ على نحو يجعلنا بحكم العادة والإلف نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين، وهذا مؤداه أن جزءًا من معنى dark هو توقع مجيئها في صحبة night، وأن جزءًا من معنى night هو توقع مجيئها في صحبة dark؛ بغض النظر عن المعاني الأخرى التي تعبر عنها العبارة؛ كالمعنى الذهني أو المقامي النحوي"[4].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة/ لابن فارس/ تح: عبد السلام هارون ٣ / ٣٣٥/ باب الصاد والحاء وما يثلثهما/ ص ح ب.

(٢) البيت من السريع، وهو منسوب في معجم الأدباء إلى حمزة بن بيض الكوفي (انظر معجم الأدباء/ لياقوت الحموي/ تح: إحسان عباس ٣ / ١٢١٧)، ومنسوب في تاج العروس إلى خلف بن خليفة الأقطع. (انظر تاج العروس/ للزبيدي ٢٧ / ١٧٧).

(٣) انظر تاج العروس ٣ / ١٨٦ / فصل الصاد من باب الباء/ ص ح ب، والرَّامِكُ: نَوْعٌ من الطِّيبِ رَدِيءٌ خَسِيسٌ (تاج العروس/ نفس الموضع)

(٤) المصاحبة في التعبير اللغوي/ د محمد حسن/ ص ١٦.

ـ **وعرّفها د محمد حسن؛ قائلًا:** المصاحبة ظاهرة لغوية لا تخفى على المتحدث باللغة المعينة، وهي بشكل عام مجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى؛ يقال: قطيع من الغنم، ولا يقال: قَطِيع من الطير؛ بل يقال: سِرْب من الطير.(١)

ـ **وعرفها د البركاوي؛ قائلاً:** هي الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما، مطلقًا عليها مصطلح "الرصف" أو "النظم"(٢).

. وأطلق عليها د تمام حسان مصطلح التضام.(٣)

. ويلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للمصاحبة وثيق الصلة بالمعنى اللغوي؛ لأن مشتقات الجذر (ص ح ب) تدور حول التلازم والتلاؤم، وهو ما يستفاد من المعنى الاصطلاحي.

ثالثًا: تأصيل المصاحبة عند اللغويين القدامى:

عرف لغويونا القدامى ظاهرة المصاحبة؛ لكنهم لم يعبروا عنها بهذا المصطلح؛ بل كان لكل منهم طريقته في التعبير عنها، وضربوا بسهم وافر في هذا المجال؛ حيث كشفوا عن المجالات المختلفة التي تستعمل فيها ألفاظ بأعيانها؛ بحيث لو استعمل لفظ مع غير ما يتلاءم معه؛ كان ذلك خطأ في فقه اللغة؛ ذلك لأن موضوع فقه اللغة القديم عند العرب يدور في الأغلب الأعم حول هذه القيود التي ترد فيها الاستعمالات المختلفة؛(٤) من هذه الإسهامات:

ـ **ما أورده سيبويه (ت١٨٠هـ)؛ قائلًا:** "وأما المستقيم الكذب؛ فقولك:

---

(١) السابق/ ص ١١/ بتصرف.

(٢) انظر دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث/ د عبد الفتاح البركاوي/ ص ٥٢.

(٣) انظر اللغة العربية: معناها ومبناها/ د تمام حسان ص ٢١٧.

(٤) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ص ٧٢/ بتصرف.

حَمَلتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه"[١]، فقد جعل سيبويه إيراد كلمة ما مع كلمة لا تتناسب معها دلاليًّا مما يسم الكلام بالخطأ والكذب، فالاستقامة هنا نحوية والقبح أو الخطأ دلالي؛ لورود كلمة الجبل أو ماء البحر مع ما لا يناسبها دلاليًّأ.[٢]

. وابن السكيت (ت٢٤٤) يورد بعض الأساليب التي لا تخلو من المصاحبات اللفظية؛ قائلاً: "وتقول: قعد على فُوَّهة الطريق، وعلى فُوَّهة النَّهْر، ولا تقل: فم ولا فُوهَة بالتَّخْفِيف"[٣].

ويقول تحت باب: ما جاء مُثَنًّى: المَلَوان: الليل والنهار؛ قال ابن مُقْبل (ت بعد ٣٧هـ):

ألا يا دِيارَ الحَيّ بالسَّبُعان ... أَملَّ عليها بالبِلَى المَلَوان[٤]

وهما الجَدِيدان، والأَجَدان، والعَصْران، ويقال: العَصْران: الغداة والعشي؛ قال[٥]:

وأَمْطُلُهُ العَصْرين حتى يَمَلَّنِي ... ويَرْضَى بنصف الدين والأنفُ راغم

والحَجَران: الذهب والفضة، والأَسْوَدَان: التَّمْر والماء، والأَبْيَضَان: اللبن والماء، قال الشاعر[٦]:

---

(١) الكتاب/ لسيبويه/ تح: عبد السلام هارون ١ / ٢٦، وانظر السابق/ ص ٧٢.

(٢) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ص ٧٢/ بتصرف.

(٣) إصلاح المنطق/ لابن السكيت/ تح: محمد مرعب/ ص ١٣٤.

(٤) البيت من الطويل، وهو مذكور في ديوانه/ ص ١٦٥.

(٥) البيت من الطويل، وهو غير منسوب في الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية/ للجوهري/ تح: أحمد عطار ٢ / ٧٤٩/ باب الراء/ فصر العين/ ع ص ر، لسان العرب ٤ / ٥٧٦/ باب الراء/ فصل العين/ ع ص ر.

(٦) البيت من الطويل، وهو منسوب إلى هذيل الأشجعي من شعراء الحجازيين (انظر لسان لسان العرب/ لابن منظور ٣ / ١٢٣/ باب الضاد/ فصل الباء/ ب ي ض).

ولكنه يأتي لي الحَوْلُ كاملًا وما لي إلا الأَبْيَضَين شَرَاب

والأَصْفَرَان: الذَّهَب والزَّعْفَرَان، والأَحْمَرَان: الشراب واللحم.(١)

. ونجد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) يتناول المصاحبة؛ مطبقًا إياها على كتاب الله . تعالى . قائلًا:

وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله . تبارك وتعالى . لم يذكر في القرآن الجوع؛ إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به؛ إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث، فلا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال، وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق؛ مثل: الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس.(٢)

. والنص السابق يبين أن الجاحظ جعل كتاب الله . تعالى . هو مقياس الفصاحة، وهو ما ينبغي أن يكون عليه لغويونا؛ لأن لغة القرآن هي مقياس الفصاحة.

كما أن هذا النص يدل على حس لغوي بالغ الدقة، وكان الجاحظ محقًّا فيما ذهب إليه من تقييدات لألفاظ بعينها في القرآن الكريم، وفي أن به ألفاظًا لا تكاد تفترق؛ أي أن المصاحبة وسيلة من وسائل تفسير المعنى؛ لأنها تكون جزءًا من معنى بعض الألفاظ.(٣)

---

(١) انظر إصلاح المنطق/ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨.

(٢) انظر البيان والتبيين/ للجاحظ ١ / ٤١ ، ٤٢.

(٣) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث/ د محمد أبو الفرج/ ص ١١٣ : ١١٥/ بتصرف.

ـ وأما المبرد (ت٢٨٥هـ)؛ فيشير إلى المصاحبة في ثنايا شرحه للمشترك اللفظي؛ حيث يشير إلى تغير معنى الفعل تبعًا لما يصاحبه من الألفاظ.(١)

ـ وعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (ت٣٢٠هـ)؛ جمع في كتابه "الألفاظ الكتابية" طائفة كبيرة من المصاحبات اللفظية؛ قائلاً: "فليست لفظة منها؛ إلا وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة، أو تقوم مقامها في المحاورة: إما بمشاكلة، أوبمجانسة أو بمجاورة، فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها؛ كانت له مادة قوية وعونًا وظهيرًا، فإن كَتَب عدة كُتُب في معنى تهنئة أو تعزية أو شكر أو استبطاء أو تأسيس جماعة؛ أمكنه تغيير ألفاظها مع اتفاق معانيها، وأن يجعل مكان أصلح الفاسد: لَمَّ الشَّعثَ، ومكان لم الشعث: رَتَقَ الفَتْقَ، وشَعَب الصَّدْعَ.(٢)

ففي هذا النص إشارة غير مباشرة إلى المصاحبة، وأن لكل لفظ ما يناسبه من الألفاظ المصاحبة له؛ فكلمة أصلح تأتي مع الفاسد، وكلمة (لم) تأتي مع (الشعث) وهكذا،[٣] وقد ذكر نماذج المصاحبات التي أوردها في كتابه.(٤)

ـ وابن فارس (ت٣٩٥هـ) يشير إلى المصاحبة في باب الخصائص من كتابه الصاحبي،(٥) وكذا أبو هلال العسكري(ت نحو٣٩٥هـ)،(٦)ويقدم الثعالبي

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ للسيوطي/ تح: فؤاد منصور ١ / ٣٠٥.

(٢) انظر الألفاظ الكتابية/ لعبد الرحمن الهمذاني/ ص ٧ ، ٨.

(٣) المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم/ د حمادة عبد الفتاح/ ص ٤٩/ بتصرف.

(٤) انظر الألفاظ الكتابية/ ص ٢٤ ، ٣٠ ، ٢٥٧.

(٥) انظر الصاحبي/ لابن فارس/ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥.

(٦) انظر الفروق اللغوية/ لأبي هلال العسكري/ تح: محمد إبراهيم/ ص ٢٥ ، ٢٦، وانظر هذه المصاحبات التي ذكرها: ص ٦٣ ، ١٣٠ ، ٢٢٥.

(ت٤٢٩هـ) كتابين يعدان من منابع ظاهرة المصاحبة في تراثنا الأصيل وبيئة خصبة لها، ومرجعًا لغويًّا في بابها؛ هما كتابا "فقه اللغة وسر العربية"(١)، "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"(٢)،(٣) ثم يأتي شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني؛ ليؤسس لنظرية النظم ويضع دعائمها مُقَعِّدًا لكثير من قضايا السياق وأبوابه؛ ومنها المصاحبة اللغوية.(٤)

. وتعد المعاجم اللغوية والرسائل وكتب الغريب من مصادر المصاحبة عند العرب؛ حيث اهتم المعجميون بمصاحبات الكلمة اللفظية، والتعبيرات السياقية، وورد في ثناياها كثير من المصاحبات بين الألفاظ،(٥) ومن المعاجم التي اهتمت بإيراد المصاحبات: **معجم العين، ومما ورد فيه:**

"الجَدْعُ: قطع الأنف والأذن والشفة، جدَعْتُه أَجْدَعُهُ جَدْعًا وهو مجدوع وأنا جادع، وإذا لزمت النعت؛ فهو أجدع والأنثي جدعاءُ، وبه جدْع، ولا يقال: قَطْع"(٦).

(١) انظر فقه اللغة وسر العربية/ للثعالبي/ تح: عبد الرزاق المهدي/ ص ٢٠، وانظر نماذج من المصاحبات التي ذكرها: ص ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٢١٨.

(٢) انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ للثعالبي/ ص ٣ ، ٤، وانظر نماذج من المصاحبات التي وردت في هذا الكتاب: ص ٧٩ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤.

(٣) انظر المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم/ ص ٥٧، المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف/ د علاء طلعت/ ص ٤٨ ، ٤٩.

(٤) انظر دلائل الإعجاز ١ / ٥٥ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٤٠٢.

(٥) انظر المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم/ ص ٤٢.

(٦) العين/ للخليل بن أحمد/ تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ١ / ٢١٩/ باب باب العين والجيم والدال معهما/ ج د ع، وانظر نماذج أخرى من المصاحبات في العين: ٢ / ١٥٤/ باب العين واللام والميم معهما/ ع م ل، ٢ / ٣١٠/ باب الرباعي من العين، ٤ / ٦٥/ باب الهاء والجيم و(و ا ي ء)/ هـ و ج، ٤ / ١١٨/ باب الرباعي/ الهاء والشين، ٥ / ١٥٥/ باب القاف والراء والباء معهما/ ر ق ب.

. ومما أورد الأصمعي (ت ٢١٦هـ) في كتابه الشاء: "يقال: ولدت الشاة والغنم، .. ولا يقال: نتجت، إنما النتاج للإبل والخيل، يقال: نتجت الناقة؛ أي ولدت"(١).

ـ كما أورد ابن دريد (ت ٣٢١هـ) نماذج من المصاحبة في جمهرة اللغة،(٢) وكذلك ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في مقاييس اللغة.(٣)

ـ إذن كان لباب المصاحبة صدى واسع في تآليف القدامى، وتشهد مصنفاتهم بعميق إدراكهم لها واستقصائهم لأمثلتها ومعالجتهم لها وحثهم الكُتّاب على مراعاتها؛ وإن لم يسموها بهذا الاسم أو لم يخصوها باسم؛ حيث تجمع هذه المصنفات ثروة من الألفاظ والعبارات روعي فيها . إلى جانب العلاقة الدلالية . اختيار ما يلائم اللفظ من ألفاظ أخرى تجيء مرافقة له.(٤)

رابعًا: المصاحبة عند اللغويين المحدثين:

درس المحدثون المصاحبة اللفظية في ضوء السياق؛ لبيان العلاقة بين المفردات في التراكيب؛ حيث تحدث فيرث عنها مشيرًا إلى المصطلحCollocation؛ فوجه أنظار اللغويين المحدثين إليها، وقدم مفهوم

(١) الشاء/ للأصمعي/ تح: د صبيح التميمي/ ص ٥٠/ باب حمل الغنم ونتاجها.

(٢) انظر جمهرة اللغة/ لابن دريد/ تح: رمزي منير ١ / ٦٤ / باب الباء وما يتصل بها من الحروف في الثنائي الصحيح/ ب ح ح، وانظر نماذج أخرى من المصاحبات: ١ / ٥٨٤/ باب الخاء والراء وما بعدهما من الحروف/ س خ ر، ٢ / ٨٨١/ باب الشين واللام مع ما بعدهما من الحروف/ ش ل هـ.

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة ٤ / ١٧٣/ باب العين والهاء وما يثلثهما/ ع هـ ل، وانظر نماذج أخرى من المصاحبات في هذا المعجم: ٥ / ٨١/ باب القاف والراء وما يثلثهما/ ق ر ب، ٥ / ٩٤/ باب القاف والصاد وما يثلثهما/ ق ص و، ٥ / ١١٢/ باب القاف والفاء وما يثلثهما/ ق ف ل.

(٤) المصاحبة في التعبير اللغوي/ ص ٦٠ ، ٦٤/ بتصرف.

المصاحبة جزءًا من نظريته الشاملة في المعنى.[١]

ـ "وقد كان د محمد أبو الفرج أول من قدم مفهوم فيرث في المصاحبة إلى القارئ العربي؛ بل إنه صاحِبُ ذلك المصطلح العربي (المصاحبة) الذي وضعه مرادفًا لمصطلح فيرث، وهو يَعُدّ المصاحبة وسيلةً من وسائل تفسير المعنى المعجمي"[٢]؛ يقول د أبو الفرج: إن كثيرًا من اللغويين يقرون الصلة بين دراسة النحو والمعنى، ويجعلون دراسة اللغة في النحو، وهذا لا شك فيه، فالمعجم لا يستغني عن النحو؛ لأنه يعرض الصيغ في صور نحوية عادة، والنحو يحدد نوع الكلمة التي يجب أن تقع في الموضع من الكلام (اسم، أو فعل، أو حرف)، وهناك في اللغة نوع من التحديد للكلمات المستعملة في تركيب ما؛ دون اعتبار للنحو أو غيره من القواعد اللغوية المعروفة، هذا النوع هو الذي نسميه المصاحبة.[٣]

ـ رابعًا: أثر البيئة في تكوين المصاحبات اللغوية:

ما دامت اللغة تصور المجتمع؛ فمن الطبعي أن تختلف اللغات في المفردات التي تعبر عن عناصر البيئة، وفي أساليب التركيب والتعبير التي تتأثر بتقدير أهلها لأهمية عناصر البيئة من حولهم؛ فمثلاً كان العرب يصفون الأرض التي تنبت بأنها أرض كريمة أو طيبة أو حرة أو أنيثة؛ لأنهم عاشوا في بيئة صحراوية يعد النبات والأرض المنبتة نعمة عظيمة فيها، بينما تعد هذه الأرض في نظر الباحثين عن الرمل الذي يصنع منه الزجاج أرضًا عديمة القيمة[٤].

(١) السابق/ ص ١٣/ بتصرف.

(٢) نفسه/ ص ٦٠ ، ٦١.

(٣) انظر المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث / ص ١٣ ، ١١٠ ، ١١١.

(٤) علم اللغة/ د محمد حسن جبل/ ص ٦ ، ٧/ بتصرف.

فاللغة ظاهرة اجتماعية شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمي البلاغيون كلًّا منها "مقامًا"، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن غيرهما مثل مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء، وكان من رأي البلاغيين أن "لكل مقام مقالًا" لأن صورة "المقال" speech event تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام" context of sotuation، وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك، وهذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحقيقة أو المجاز، والإخبار أو الاستفهام... الخ، ومن عباراتهم الشهيرة في هذا الصدد قولهم: "لكل كلمة مع صاحبتها مقام"، ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة "المقام" متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي "المقام" و"المقال" باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة، وفكرة "المقام" هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثَّل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية؛ التي تسود ساعة أداء المقال.[١]

(١) انظر اللغة العربية: معناها ومبناها/ ص ٣٣٧.

المبحث الأول

صفات يوسف . عليه السلام . في غير سورته

أولاً: صفاته . عليه السلام . في سورة الأنعام:

في هذه الآيات الكريمة تتضح صفات يوسف . عليه السلام . ضمن الصفات العامة للأنبياء الوارد ذكرهم؛ وهي: مرتبة ترتيب ورودها في الآيات:

١ـ الإحسان مصاحبًا الجزاء: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **من الآية ٨٤.**

ـ من المصاحبات الواردة في القرآن: قوله تعالى: ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ (سورة الكهف من الآية: ٨٨)، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ (سورة الرحمن الآية: ٦٠).

. أما معنى الجزاء؛ فهو"ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر؛ يقال: جَزَيْتُهُ كذا وبكذا"[(١)]؛ أي أن "الجزاء: المكافأة على الشيء، ... في الخير والشر"[(٢)].

ـ وأما معنى الإحسان؛ فيقال: أَحْسَنْت: فَعَلْت الْحَسَنَ؛ كَمَا قِيلَ: أَجَادَ إذَا فَعَلَ الْجَيِّدَ، وَأَحْسَنْت الشَّيْءَ عَرَفْته وَأَتْقَنْته،[(٣)] والإحسان: إفعال من الحُسْن، وهو

(١) المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصفهاني/ تح: صفوان عدنان/ ص ١٩٥/ كتاب الجيم/ ج ز ى.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم/ د محمد حسن جبل ١ / ٣٠٧/ الجيم والزاي وما يثلثهما/ جزى.

(٣) انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ للفيومي ١ / ١٣٦/ باب الحاء/ ح س ن.

كلّ مُبْهج مرغوب فيه عقلًا، أَو حسًّا، أَو هوًى، ويقال على وجهين: أَحدهما: الإنعام على الغير؛ يقال: أَحسَن إِلىَّ فلان، والثانى: إحسان فى فعله؛ أي إتقان أو إجادة فيه؛ وذلك إذا علم عِلْمًا حسنًا أَو عمل عملًا حسنًا،[1] ولعل الوجهين مرادان في وصف الأنبياء . عليهم السلام . بهذه الصفة؛ فالمحسنون أهل للمكافأة، والمثوبة والتقدير والإكرام؛ ومن ثم جمع بينهما في هذه المصاحبة، ولا يخفى أثر الصيغة في هذه المصاحبة فعلًا مضارعًا في (نجزي) مفيدًا التجدد والاستمرار، ومُصَدَّرًا بنون العظمة التي توحي بإكرام المثوبة، واسم الفاعل في (المحسنين) مفيدًا التصاق الحدث (الإحسان) بصاحبه (المحسنين) في كلمة واحدة؛ مما يدل على تأصل الإحسان فيهم . عليهم السلام ..

ولذا كان وعد الله . تعالى . لمن أحسن في عمله وترغيب في الإحسان بقوله: وكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين،[2] وجعل بعض المفسرين جزاء المحسنين الهدى؛ قائلًا: التقدير: هديناهم جزاء لإحسانهم؛ باهتدائهم في أنفسهم ودعائهم لغيرهم إلى الهدى، لم يشغل أحدًا منهم منحةُ السراء ولا محنة الضراء، عطف عليه قوله: (وكذلك)؛ أي ومثل ما جزيناهم (نجزي المحسنين) أي كلهم، ففي (ذلك) وما فيه من معنى البعد إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، ومع ذلك فقد أحسنوا ولم يفتروا ولم ينوا،[3] والكاف لتأكيد ما أفاده اسمُ الإشارةِ من الفخامة، والإظهارُ في موضعِ الإضمارِ للثناء عليهم بالإحسان الذي هو عبارةٌ عن الإتيان بالأعمال

(١) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ للفيروزابادي/ تح: محمد النجار ٢ / ٦٧ ، ٦٨، التحرير ١٢/ ٢٦٩.

(٢) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية/ تح: عبد السلام عبد الشافي ٢ / ٣١٦ ، ٣١٧.

(٣) انظر نظم الدرر ٧ / ١٧٥.

الحسنة على الوجه اللائقِ الذي هو حسنها.[١]

٢ـــ الصـــلاح مصـــاحبًا كـــلًا: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٨٥.

- أما الصلاح؛ فيدل "عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ"[٢]، "وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسّيّئة؛ قال تعالى: خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً) (سورة التوبة من الآية: ١٠٢)، (وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها) (سورة الأعراف من الآية: ٥٦)"[٣]، والمعنيان مرادان من اللفظ في الآية الكريمة، فـ "الصالح من عباد الله هو الذي تتفق أعماله مع ما يطلبه الشرع أو يرضاه"[٤]، وقيده بعض المفسرين بأنه هو "الزُّهْدُ الشَّدِيدُ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الدُّنْيَا"[٥]، وقد وصف هؤلاء الأنبياء المذكورون جميعًا بالصلاح؛ فلَا يَخْتَصُّ كُلٌّ بِهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ بَلْ يَعُمُّ جَمِيعَ مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ الثمانية عَشَرَ نَبِيًّا،[٦] وصاحب لفظ (الصالحين) (كل)؛ لإفادة العموم؛ فلا يستثنى نبي من الصالحين، والتَّنْوِينُ فِيه "عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ؛ أَيْ كُلٌّ هَؤُلَاءِ الْمَعْدُودِينَ"[٧].

٣ـ التفضيل مصاحبًا كلًا ثم مصاحبًا العالمين: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ

(١) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ لأبي السعود ٣ / ١٥٨

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٠٣/ باب الصاد واللام وما يثلثهما/ ص ل ح.

٣ المفردات في غريب القرآن/ ص ٤٨٩/ كتاب الصاد/ ص ل ح.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ٣ / ١٢٥١/ الصاد والحاء وما يثلثهما/ صلح.

(٥) مفاتيح الغيب/ لفخر الدين الرازي ١٣ / ٥٢ ، ٥٣.

(٦) انظر البحر المحيط ٤ / ٥٧٥.

(٧) التحرير والتنوير ٧ / ٣٤١.

وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٨٦.

ـ من المصاحبات القرآنية في ذلك: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة البقرة: من الآية ٤٧ ، ١٢٢)، ﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأعراف: من الآية ١٤٠).

ـ أما لفظ التفضيل؛ فمعناه المحوري "يدل عَلَى زِيَادَةٍ فِي شَيْءٍ؛ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ وَالْخَيْرُ، وَالْإِفْضَالُ: الْإِحْسَانُ"(١).

ـ وأما لفظ العالمين؛ فالمراد به "الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ"(٢)؛ ولذا خصه بالذكر دون غيره؛ ليدل على العموم والشمول.

والمراد من قوله تعالى: ﴿ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ كُل وَاحِدٍ فَضَّلْنَاهُ بِالنُّبُوَّةِ والرسالة عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ؛ عَدَا مَنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ أَوْ مُسَاوِيًا لَهُ، فَاللَّامُ فِي الْعالَمِينَ لِلِاسْتِغْرَاقِ الْعُرْفِيّ؛(٣) وَالتَّنْوِينُ في (كلًّا) عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ كُلُّ أُولَئِكَ الْمَذْكُورِينَ مِنْ إِسْحَاقَ إِلَى هُنَا، فلفظ (كل) يَقْتَضِي اسْتِغْرَاقَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ، وَحُكْمُ الِاسْتِغْرَاقِ أَنْ يَثْبُتَ الْحُكْمُ لِكُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ لَا لِلْمَجْمُوعِ، ويُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ وَكُلٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يُفَضَّلُونَ عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَالَمِين.(٤)

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٨/ باب الفاء والضاد وما يثلثهما/ ف ض ل.

(٢) السابق ٤ / ١١٠/ باب العين واللام وما يثلثهما/ ع ل م.

(٣) انظر بحر العلوم/ للسمرقندي ١ / ٤٦٥، فتح القدير/ للشوكاني ٢ / ١٥٦، التحرير والتنوير ٧ / ٣٤٣.

(٤) انظر التحرير والتنوير ٧ / ٣٤٣.

إذن أضْفَتْ كلمات (كلًّا، العالمين بما فيها من الألف واللام) معنى العموم والشمول على كلمة (فضلنا).

٤- الهدى مصاحبًا الاجتباء: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٨٧.

من مصاحبة الهدى للاجتباء في القرآن الكريم: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة النَّحْلِ من الآية:١٢١)، (وممن هدينا واجتبينا) (سورة مريم من الآية: ٥٨)، ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (سورة طه الآية: ١٢٢)، ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (سورة الشورى من الآية: ١٣).

وقد أثبت الله . تعالى . صفة "الهدى" ليوسف . عليه السلام . مع إخوانه الأنبياء مرتين: في المرة الأولى صاحب الهدى الاجتباء . كما هنا .، وفي الثانية صاحب الهدى الاقتداء . كما

سيأتي .، وإنما اغتفر . هنا . مصاحبة جملة لجملة؛ لأن الكلمة . هنا . جزء من جملة.

. أما الاجتباء؛ فمعناه المحوري "يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ الشَّيْءِ وَالتَّجَمُّعِ؛ يُقَالُ: جَبَيْتُ الْمَالَ أَجْبِيهِ جِبَايَةً، وَجَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ، وَالْحَوْضُ نَفْسُهُ جَابِيَةٌ؛ قَالَ الْأَعْشَى:

تَرُوحُ عَلَى آلِ الْمُحَلِّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ[(١)]"[(١)]

(١) البيت من الطويل، والمُحلِّق، بِكَسْرِ اللَّامِ: اسْمُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ مَمْدُوحِ الأَعشى، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَن فَرَسَهُ عضَّته فِي وَجْهِهِ فتركَتْ بِهِ أَثراً عَلَى شَكْلِ الحَلقة. (انظر لسان العرب/ لابن منظور ١٠ / ٦٤/ باب القاف/ فصل الحاء/ ح ل ق، "وخص الْعِرَاقِيّ =

ومن معنى الجمع أخذ اجتباء الله . تعالى . العبد؛ أي تخصيصه إياه بفيض إلهيّ يتحصل له منه أنواع من النعم؛ وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء.(٢)

ـ **والهدى معناه المحوري يدور حول:** تبيُّن الوجهة أو تبيينها؛ بالتقدم أو الكشف؛ ومن ذلك التقدم توجهًا إلى المراد عُبِّر بالتركيب عن الدلالة؛ يقال للدليل: الهادي؛ لأنه يَقْدُم القومَ نحو وجهتهم، ومنه : الهدى: الرشاد والدلالة، ضد الضلال،(٣) وهو المراد به في الآيات الكريمة، وخص بعض المفسرين دلالته . هنا . بالنبوة؛ لمصاحبته للاجتباء.(٤)

"والِاجْتِبَاءُ: الِاصْطِفَاءُ، أَوِ التَّخْلِيصُ، أَوْ الِاخْتِيَارُ "(٥)؛ أي تخيرناهم وضممناهم إلى خاصتنا وأرشدناهم إلى الإيمان.(٦)

ـ وصاحب قوله: (وَهَدَيْنَاهُمْ) قوله: (واجْتَبَيْنَاهُمْ)؛ ليُؤَكِّد إِثْبَاتَ هُدَاهُم؛ اهْتِمَامًا بِهَذَا الْهدى، فَبَيَّنَ أَنَّهُ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ أَيْ إِلَى مَا بِهِ نَوَالُ مَا

=

لجهله بالمياه، لِأَنَّهُ حضري، فَإِذا وجدهَا مَلأ جابيته وأعدها وَلم يدر مَتى يجد الْمِيَاه، وَأما البدوي فَهُوَ عَالم بالمياه فَهُوَ لَا يُبَالِي أَلا يعدها" (المحكم والمحيط الأعظم/ لابن سيده/ تح عبد الحميد هنداوي ٧ / ٥١١/ باب الجيم والباء والياء/ ج ب ي، وتفهق: "يريد تطفح" (الزاهر في معاني كلمات الناس/ لأبي بكر الأنباري/ تح حاتم الضامن ٢ / ١٠٤).

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ٥٠٣/ باب الجيم والباء وما بعده من المعتل/ ج ب ي.

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن/ ص١٨٦/ كتاب الجيم/ ج ب ي.

(٣) انظر المعجم الاشتقاقي ٤ / ٢٢٩٣ ، ٢٢٩٤/ الهاء والدال وما يثلثهما/ هدى.

(٤) انظر التحرير والتنوير ١٦ / ٢٣٨.

(٥) فتح القدير/ للشوكاني ٢ / ١٥٦.

(٦) انظر تفسير ابن عطية ٢ / ٣١٨.

يَعْمَلُ أَهْلُ الْكَمَالِ لِنَوَالِهِ، فَضَرَبَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ مَثَلًا لِذَلِكَ؛ تَشْبِيهًا لِهَيْئَةِ الْعَامِلِ لِيَنَالَ مَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْكَمَالِ بِهَيْئَةِ السَّاعِي عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يُوَصِّلُهُ إِلَى مَا سَار إِلَيْهِ بِدُونِ تَرَدُّدٍ وَلَا تَحَيُّرٍ وَلَا ضَلَالٍ، وَذَكَرَ مِنْ أَلْفَاظِ الْمُرَكَّبِ الدَّالِّ عَلَى الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا بَعْضه؛ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِدَلَالَتِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمَحْذُوفَةِ لِلْإِيجَازِ، وهو اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ؛ أَيْ لَا تَعْجَبُوا مِنْ هَدْيِهِمْ وَضَلَالِ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ زَادَ اسْم الْإِشَارَةِ في قوله: (ذلك هدى الله)؛ اهْتِمَامًا بِشَأْنِ الْهدى؛ إِذْ جُعِلَ كَالشَّيْءِالْمُشَاهَدِ، فَزِيدَ بَاسِمِ الْإِشَارَةِ كَمَالُ تَمْيِيزٍ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْهُدَى بِأَنَّهُ هُدَى اللَّهِ لِتَشْرِيفِ أَمْرِه، وَبَيَانِ عِصْمَتِهِ مِنَ الْخَطَأِ وَالضَّلَالِ.(١)

٥ـ الهدى مصاحبًا الاقتداء: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ٩٠.

-وأما الاقتداء؛ فمعناه المحوري يدور حول اتباع الشيء انجذابًا أو امتدادًا إليه لاستطابته أو أصالته؛ كما في قولهم: طعام قَدِيّ؛ أي طيب الرائحة، ومنه القُدْوَة . بالضم والكسر . وهو ما تَسَنَّنْتَ به؛ أي ما تَتْبَعه فتكون امتدادًا له، والاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله،(٢) وهو المراد به . هنا . وَلَا يُعْرَفُ لَهُ فِي اللُّغَةِ فِعْلٌ مُجَرَّدٌ فَلَمْ يُسْمَع إِلَّا اقْتَدَى، وَكَأَنَّهُمُ اعْتَبَرُوا الْقُدْوَةَ اسْمًا جَامِدًا وَاشْتَقُّوا مِنْهُ الِافْتِعَالَ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّكَلُّفِ كَمَا اشْتَقُّوا مِنَ الْأُسْوَةِ ائْتَسَى.(٣)

والْمُرَادُ مِنْ الْهدى الثَّوَاب الْعَظِيم؛ أي الْهداية إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وكَانَ ذلك جَزَاءً عَلَى الْإِحْسَانِ الصَّادِرِ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمُ اجْتَهَدُوا فِي طَلَبِ الْحَقِّ، فاللَّه

(١) انظر التحرير والتنوير ٧ / ٣٥٠ ، ٣٥١.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٤ / ١٧٤١ ، ١٧٤٢/ باب القاف والدال وما يثلثهما/ ق د و . ق د ى.

(٣) انظر التحرير والتنوير ٧ / ٣٥٦.

تَعَالَى جَزَاهُمْ عَلَى حُسْنِ طَلَبِهِمْ؛ بِإِيصَالِهِمْ إِلَى الْحَقِّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (سورة الْعَنْكَبُوتِ من الآية: ٦٩).(١)

والمراد من الاقتداء بهم: العمل بطريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده، والأخلاق الحميدة، والأفعال المرضية؛ إذ مقصد أهل التوحيد واحد وان كانت الطرق مختلفة.(٢)

وَعَدَلَ عَنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ الظَّاهِرِ (الذين هدى الله)؛ لِقَرْنِ هَذَا الْخَبَرِ بِالْمَهَابَةِ وَالْجَلَالَةِ، وَقَوْلُهُ: فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ تَفْرِيعٌ عَلَى كَمَالِ ذَلِكَ الْهُدَى، وَتَخَلُّصٌ إِلَى ذِكْرِ حظّ محمد . صلى الله عليه وسلم . مِنْ هُدَى اللَّهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَهَدْيِهِمْ؛ إِشَارَةً إِلَى عُلُوِّ مَنْزِلَةِ مُحَمَّدٍ . صلى الله عليه وسلم . وَأَنَّهُ جَمَعَ هُدَى الْأَوَّلِينَ، وَأُكْمِلَتْ لَهُ الْفَضَائِلُ العظيمة؛ لِذَلِكَ قَدَّمَ الْمَجْرُور وَهُوَ (فَبِهُداهُمُ) عَلَى عَامِلِهِ؛ للاهتمام بِذَلِكَ الْهُدَى فهو مَنْزِلَتُكَ الْجَامِعَةُ لِلْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا.(٣)

. وأشار بهاء السكت التي هي أمارة الوقوف – وهي ثابتة في جميع المصاحف – إلى أن الاقتداء بهم غير محتاج إلى شيء.(٤)

٦ـ إيتاء الكتاب والحكم والنبوة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ **[الأنعام: ٨٩]**

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٣ / ٥٣.

(٢) انظرالفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية/ للشيخ علوان ١ / ٢٢٦، محاسن التأويل/ للقاسمي/ تح: محمد باسل ٤ / ٤٢٢.

(٣) انظر التحرير والتنوير ٧ / ٣٥٥.

(٤) انظر نظم الدرر ٧ / ١٨٣.

–من المصاحبات الواردة في القرآن الكريم: ﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (سورة آل عمران من الآية: ٧٩)، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (سورة الجاثية من الآية: ١٦)؛ مما يدل على أن هذه الألفاظ متآلفة متعانقة متصاحبة في سياقات أخرى في القرآن الكريم.

. **أما عن لفظ الكتاب؛** فمعناه المحوري الضم؛ ومنه الْكَتْبُ: ضمّ أديم إلى أديم بالخياطة، يقال: كَتَبْتُ السّقاء، وفي التّعارف ضمّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطّ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللّفظ، فالأصل في الْكِتَابَةِ: النّظم بالخطّ؛ لكن يستعار كلّ واحد للآخر، ولهذا سمّي كلام الله– وإن لم يُكْتَبْ– كِتَاباً، فهو في الأصل مصدر، ثم سمّي المكتوب فيه كتابا، ويطلق على جنس كتب الله.(١)

. **ومعنى حَكَمَ المحوري:** "الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ، وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا، وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السَّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ؛ إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ. قَالَ جَرِيرٌ (ت١١٠هـ):

أَبَنِي حنيفةَ أَحْكِمُوا سُفَهاءكمْ إني أخافُ عليكمْ أن أغْضَبا"(٢)

والحُكْم بالشيء: أن تقضي بأنّه كذا، أو ليس بكذا، سواء أَلْزَمْتَ ذلك غيرَك أو لم تُلْزِمه.(٣)

ويأتي الحكم بمعنى الحِكْمة؛ فيكون معناه معرفة أفضل الأشياء بأفضل

(١) انظر المفردات/ ص ٦٩٩ ، ٧٠١/ كتاب الكاف/ ك ت ب.

٢ معجم مقاييس اللغة ٢ / ٩١/ باب الحاء والكاف وما يثلثهما/ ح ك م، والبيت من الكامل، وهو مذكور في ديوانه/ ص ٥٠.

(٣) انظر المفردات/ ص ٢٤٨/ كتاب الحاء/ ح ك م، المعجم الاشتقاقي ١ / ٤٧٤/ الحاء والكاف وما يثلثهما/ حكم.

العلوم معرفة جامعة متقنة.(١)

. والنبأ معناه المحوري يدور حول: الْإِتْيَان مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؛ يُقَالُ لِلَّذِي يَنْبَأُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ نَابِئٌ، وَسَيْلٌ نَابِئٌ: أَتَى مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ النَّبَأُ: الْخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ،[٢] ويقيد معناه بكونه خبرًا ذا فائدة عظيمة يحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نَبَأٌ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نَبَأٌ أن يتعرّى عن الكذب؛ كالتّواتر، وخبر الله ـ تعالى ـ وخبر النبيّ عليه الصلاة والسلام، والنُّبُوَّةُ: سِفَارَةٌ بين الله وذوي العقول من عباده؛ لإزاحة عللهم في أمر مَعادِهم ومَعاشِهم، والنَّبِيُّ يصحُّ أن يكون فعيلًا بمعنى فاعل كقوله تعالى:

﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ ﴾ (سورة الحجر من الآية: ٤٩)، وأن يكون بمعنى المفعول كقوله: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (سورة التحريم من الآية: ٣).(٣)

ـ أُولئِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الَّذِينَ مَضَى ذِكْرُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ؛ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ الثَّمَانِيَة عَشَر، وَصاحب اسْمُ الْإِشَارَةِ الاسم الموصول؛ لِزِيَادَةِ الِاعْتِنَاءِ بِتَمْيِيزِهِمْ وَإِخْطَارِ سِيرَتِهِمْ فِي الْأَذْهَانِ، آتَيْناهُمُ الْكِتابَ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ ـ تَعَالَى ـ أَعْطَاهُمُ الْعَلَمَ الْكَثِيرَ، وَقَوْلُهُ: وَالْحُكْم إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ ـ تَعَالَى ـ جَعَلَهُمْ حُكَّامًا عَلَى النَّاسِ نَافِذِي الْحُكْمِ فِيهِمْ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، وَقَوْلُهُ: وَالنُّبُوَّةَ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ؛ وَهِيَ الدَّرَجَةُ الْعَالِيَةُ الرَّفِيعَةُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي يَتَفَرَّعُ عَلَى حُصُولِهَا حُصُولُ الْمُرَتَّبَتَيْنِ الْمُقَدَّمَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْن.(٤)

---

(١) انظر المعجم الاشتقاقي ١ / ٤٧٦/ الحاء والكاف وما يثلثهما/ حكم.

٢ انظر معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٨٥/ باب النون والباء وما يثلثهما/ ن ب أ.

(٣) انظر المفردات/ ٧٨٨ ، ٧٨٩/ كتاب النون/ ن ب أ.

(٤) انظر تفسير الرازي ١٣ / ٥٥، التحرير ٧ / ٣٥٢.

وفى ترتيب هذه النعم على هذا الوجه: الكتاب والحكم والنبوة، إشارة إلى ما بينها من تفاوت وتفاضل؛ فالرسول صاحب رسالة سماوية، يعالج بها أرواح الناس، ويطبّ لعللهم النفسية، والمَلِك صاحب رسالة دنيوية؛ يعالج بها شئون الناس فى الحياة، ويقيمهم على صراط مستقيم، فهو بهذا الوصف– مكمل لرسالة الرسول، ومطبّق للقانون السماوي الذي جاء به الرسول؛ والنبىّ– بلا رسالة، ولا حكم– هو (صيدلية) يأخذ منها من يشاء الدواء لروحه وجسده، معًا، بالعبرة والعظة، فيما يرى من هذا المثل الكريم للإنسان الكريم.(١)

ثانيًا: صفاته . عليه السلام . في سورة غافر:

- المجيء بالبينات مصاحبًا باللام وقد: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ **(سورة غافر الآية: ٣٤).**

- أثبتت الآية الكريمة في سورة غافر الأسبقية في المجيء بالبينات ليوسف قبل إرسال موسى . عليهما السلام . وذلك على القول المشهور بأنه يوسف بن يعقوب . عليهما السلام . الذي بعثه الله رسولًا إلى القبط بعد موت المَلِك، وهو الراجح، وقيل: بل هو رسول من الجن يقال له: يوسف.(٢)

والآية الكريمة على لسان مؤمن آل فرعون الذي يذكّر أهل مصر، بنبىّ كريم هو يوسف . عليه السلام . بَعَثَه اللَّهُ . تعالى . فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ قَبْلِ مُوسَى، كَانَ عَزِيزَ أَهْلِ مِصْرَ، وَكَانَ رَسُولًا يَدْعُو أُمَّتَهُ الْقِبْطَ إِلَى اللَّهِ، فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ

(١) انظر التفسير القرآني للقرآن/ لعبد الكريم يونس ٤ / ٢٣٢ ، ٢٣٣.

(٢) انظر النكت والعيون/ للماوردي/ تح: السيد بن عبد المقصود ٥ / ١٥٥.

السَّاعَةَ؛ إِلَّا لِمُجَرَّدِ الْوِزَارَةِ وَالْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ[1].

ـ والفعل (جاء) يأتي في الأعيان والمعاني، وإنما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ (سورة غافر من الآية:٣٤)، ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ (سورة الأحزاب من الآية: ١٩)، ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (سورة الفرقان من الآية: ٤)؛ أي: قصدوا الكلام وتعمدوه، فاستعمل فيه المجيء كما استعمل فيه القصد، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (سورة الفجر الآية: ٢٢)، فهذا مجيء بالأمر لا بالذات، يقال: جاءه بكذا وجاء بكذا: استحضره، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (سورة النمل من الآية: ٢٢).[2]

ـ وعبر بالفعل (جاء) دون (أتى)؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة أما المجيء فهو أعم،[3] وهو ما يناسب السياق، وصاحَبَ الفعلَ اللام و(قد) لتأكيده وتحققه؛ لأجل إنكارهم أن يكونوا أوتوا ببينة، فافتتح بحرف التوقع؛ لأن حالهم اقتضت توقع ذلك ودعت إليه، وَالْمَجِيءُ فِي قَوْلِهِ: (جاءَكُمْ) مُسْتَعَارٌ لِلْحُصُولِ وَالظُّهُورِ، وَالْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ؛ أَيْ وَلَقَدْ ظَهَرَ لَكُم يُوسُفُ بالبينات، والحديث عن آبائهم؛ ولكنه عبر بذلك دلالة على أنهم على مذهب الآباء كما جرت به العادة من التقليد، ولما لم يكن مجيئه مستغرقًا لما تقدَّم موسى . عليه السلام . من الزمان صاحَبَ الجارُّ (قبل) فقال: (من قبل) أي قبل زمن موسى . عليه السلام ..[4]

. والمراد بالبينات: الآيات الظاهرات وهي الْمُعْجِزَاتُ، والهاء في قوله (به)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير/ تح: سامي بن محمد ٧ / ١٤٣.

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن/ ص ٢١٢، بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤١٢.

(٣) انظر المفردات/ ص ٢١٢/ كتاب الجيم/ ج ا ء.

(٤) انظر نظم الدرر ١٧ / ٦٤ ، ٦٥.

ترجع إلى التوحيد وما يتبعه ثُمَّ إِنَّهُمْ بَقُوا فِي نُبُوَّتِهِ مُرْتَابِينَ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِتِلْكَ الْبَيِّنَاتِ، فَلَمَّا مَاتَ؛ قَالُوا: لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا، وَإِنَّمَا حَكَمُوا بِهَذَا الْحُكْمِ عَلَى سَبِيلِ التَّشَهِّي وَالتَّمَنِّي مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ؛ لِيَكُونَ أَسَاسًا لَهُمْ فِي تَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَ ذَلِكَ، فهُوَ تَكْذِيبٌ لِرِسَالَةِ مَنْ هُوَ بَعْدَهُ مَضْمُومًا إِلَى تَكْذِيبِ رِسَالَتِهِ، وموقف هؤلاء يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.(١)

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ٢٧ / ٥١٢ ، ٥١٣.

المبحث الثاني

صفات يوسف . عليه السلام . في سورته

١. الاجتباء مصاحبًا كاف الخطاب وربك: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ **(من الآية: ٦).**

. الاجتباء: سبق بيان معناه.

. الرَّبُّ: الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدّ التمام، يقال: رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ، فالرّبّ مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرّبّ مطلقًا إلا لله تعالى المتكفّل بمصلحة الموجودات؛[١] "لِأَنَّهُ مُصْلِح أَحْوَال خَلْقِه"[(٢)].

والمراد من يجتبيك: "يختارك ويصطفيك"[(٣)]؛ وكأنه يقول له: ومثل ذلك الاجتباء يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ؛ فكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن؛ كذلك يجتبيك لأمور عظام، وَيُحَقِّقُ فِيكَ تَأْوِيلَ تِلْكَ الرُّؤْيَا، فَيَجْعَلُكَ نَبِيًّا، وَيُسَخِّرُالعباد لَكَ كَمَا تَسَخَّرَتْ لَكَ تِلْكَ الْأَجْرَامُ الَّتِي رَأَيْتَهَا فِي مَنَامِكَ؛ فَصَارَتْ سَاجِدَةً لَكَ، وفي هذا ثناء عَلَى يُوسُفَ وَتَعْدِيد نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْه.[(٤)] عَلَيْه.[(٤)]

وعبر بكاف الخطاب التي تعطي نوعًا من القرب والتحبب، فتشعر ذلك الغلام الصغير بوجوده، إضافة إلى التعبير بلفظ (رب)؛ حيث نلمح فيه عطاء

---

١ المفردات في غريب القرآن/ ص ٣٣٦/ كتاب الراء/ ر ب.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٣٨٢/ كتاب الراء/ باب الراء وما معها في الثنائي والمطابق/ رب.

(٣) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٣ / ٩١.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل/ للزمخشري ٢ / ٤٤٤، فتح القدير ٣ / ٧ ، ٨/ بتصرف في كل.

الربوبية والرعاية؛ الذي يعطيه للكافر والمؤمن على حد سواء، أما لفظ الجلالة (الله)؛ فهو يعني العدل والقسطاس والهيمنة والقيومية والرهبة فيه العظمة والجلال، وعطاؤه للمؤمن، كما عبر بصيغة المضارع لتدل على معنى التجدد والاستمرار.

٢- **التعليم مصاحبًا بكاف الخطاب وتأويل الأحاديث:** ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ **(من الآية ٦)، ثم مصاحبًا بضمير الغيبة** ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾ **(من الآية: ٢١)، ثم مصاحبًا بياء المتكلم** ﴿ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ **(من الآية١٠١).**

- **أما العلم؛** فمعناه المحوري: يدور حول أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ؛ مِنْ ذَلِكَ الْعَلَامَةُ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ؛ يُقَالُ: عَلَّمْتُ عَلَى الشَّيْءِ عَلَامَةً، وَالْعِلْمُ: ضدالْجَهْلِ، وَقِيَاسُهُ قِيَاسُ الْعَلَامَةِ؛[1] لأنه إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه؛ فالأوّل: هو المتعدّي إلى مفعول واحد نحو: ﴿ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ (سورة الأنفال من الآية: ٦٠)، والثاني: المتعدّي إلى مفعولين، نحو قوله: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ (سورة الممتحنة من الآية: ١٠)، والتَّعْلِيمُ يكون بتكرير العلم وتكثيره حتى يحصل منه أثر في نفس المُتَعَلِّمِ، أو هو تنبيه

١ انظر معجم مقاييس اللغة ٤ / ١٠٩ ، ١١٠/ باب العين واللام وما بعدهما في الثلاثي/ ع ل م.

النّفس لتصوّر المعاني.[١]

. ومعنى أَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّلَهُ: دَبَّره وقدَّره، أو فَسَّره، والتَّأْوِيل: عِبَارَةُ الرُّؤْيَا.[٢]

. وأما الْحَدِيثُ؛ فمعناه المحوري: يدور حول الكشف عن الشيء وإظهاره؛ كما في الحَدَثان: الفأس التي لها رأس واحدة؛ بها يكشف وجه الأرض، ومحادثة السيوف: جلاؤها؛ ومنه: الحديث: الخبر؛ لأنه يكشف عما في النفس،[٣] وَالْجَمْعُ: أَحاديثُ، على غير قياس[٤]، وكلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له: حديث؛ قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ (سورة التحريم من الآية: ٣)، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾؛ أي: ما يحدّث به الإنسان في نومه[٥].

ولفظ (الْأَحادِيثِ) . هنا .: يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ حَدِيثٍ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْحَادِثِ، وتأويلها: إِرْجَاعُ الْحَوَادِثِ إِلَى عِلَلِهَا وَأَسْبَابِهَا؛ بِإِدْرَاكِ حَقَائِقِهَا عَلَى التَّمَامِ؛ وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِدْلَالِ بِأَصْنَافِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْأَحَادِيثُ جَمْعَ حَدِيثٍ بِمَعْنَى الْخَبَرِ الْمُتَحَدَّثِ بِهِ، سميت الرُّؤْيَا أَحَادِيث؛ لِأَنَّ الْمرَائِيَ يتحدث بهَا الراؤون وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى حَمَلَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، ويجوز كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ؛ بِنَاءً عَلَى صِحَّةِ اسْتِعْمَالِ

(١) انظر المفردات/ص ٥٨٠/ كتاب العين/ ع ل م.
(٢) انظر لسان العرب ١١ / ٣٣ ، ٣٤/ باب اللام/ فصل الألف/ أ و ل.
٣ المعجم الاشتقاقي ١ / ٣٩٠ / الحاء والدال وما يثلثهما/ حدث.
(٤) انظرلسان العرب ٢ / ١٣٣ / باب الثاء/ فصل الحاء المهملة/ ح د ث.
(٥) انظر المفردات/ ص ٢٢٣/ كتاب الحاء/ ح د ث.

الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ وَهُوَ الْأَصَح.[١]

- وعبر بصيغة المضارع (يعلمك)؛ ليعطي معنى التجدد والاستمرار، وناسبت كاف الخطاب المقام، فهو ما زال صغيرًا تشعره بوجوده وقربه والتحبب إليه، ثم لما كبر عبر بهاء الغيبة، (ولنعلمه من تأويل الأحاديث)؛ كأنه لما تخطى مرحلة الصغر وكبر أصبح معروفًا، وفي النهاية يقر يوسف . عليه السلام . بفضل ربه عليه (وعلمتني من تأويل الأحاديث).

٣. مصاحبة التمام للنعمة:

- من المصاحبات القرآنية: قوله تعالى: ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ (سورة البقرة من الآية: ١٥٠)، ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (سورة المائدة من الآية: ٣).

- **معنى "تَمَام الشيء:** انتهاؤه إلى حدّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والناقص: ما يحتاج إلى شيء خارج عنه"[٢].

- **وأما النعمة؛** فمعناها المحوري يَدُلُّ عَلَى تَرَفُّهٍ وَطِيبِ عَيْشٍ وَصَلَاحٍ؛ مِنْهُ النِّعْمَةُ: مَا يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ مِنْ مَالٍ وَعَيْش،[٣] وبِنَاء النِّعْمَة بِناء الحالةِ التي يكون عليها الإنسان كالجِلْسَة والرِّكْبَة، والنِّعْمَةُ للجِنْسِ تقال للقليلِ والكثير،[٤] ومعنى إتمام النعمة في الآية الكريمة: أنه وصل

(١) التحرير والتنوير ١٢ / ٢١٦/ بتصرف.

(٢) المفردات/ ص ١٦٨/ كتاب التاء/ ت م.

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة ٥ / ٤٤٦/ كتاب العين/ باب النون والعين وما يثلثهما/ ن ع م.

(٤) انظر المفردات/ ص ٨١٤/ كتاب النون/ ن ع م.

لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة؛ بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكًا، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة.(١)

ولا ريب أن في تمام النعمة بلوغ أعلى مراتب العطاء، لم يقل (يكمل النعمة)؛ لأن النعمة قد تكمل ثم يلحقها نقص، فالكامل قد ينقص، لكن التام لا ينقص، وكان لكاف الخطاب تأثير؛ حيث تُشعِر بالقرب والتحبب.

٤. المحبوبية مصاحبة (إلى أبينا): ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **(الآية: ٨)**.

ـ معنى الحب: ضد البغض واشتقاق الْحُب؛ مِنْ أَحَبَّهُ إِذَا لَزِمَهُ؛ إذ هو تعلق القلب بالمحبوب وملازمته إياه ماديًّا أو فكريًّا، وهذا تجمع وتلازم،(٢) ومن متعلقات الحب: ميل يدعو إلى إرادة الخير والنفع للمحبوب.(٣)

قوله: (لَيُوسُفُ) اللام للابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة؛ أرادوا أنّ زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه، وَأَخُوهُ هو بنيامين، وإنما قالوا: أخوه وهم جميعًا إخوته؛ لأنّ أمّهما كانت واحدة، وعبر بـ (أَحَبُّ) في الاثنين؛ لأن أفعل يستوي فيه المفرد وغيره؛ إذا لم يعرَّف أو يضف، والواو في (وَنَحْنُ) واو الحال؛ يعنى: أنه يفضلهما في المحبة علينا، وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة، ونحن جماعة عشرة رجال، فنحن أحقّ بزيادة المحبة منهما؛ لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما إنَّ أَبانا في ذهاب عن طريق الصواب

---

(١) الكشاف ٢ / ٤٤٤ ، ٤٤٥/ بتصرف.

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ٢ / ٢٦/ باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله حاء/ حب، المعجم الاشتقاقي ١ / ٣٦٣/ الحاء والباء وما يثلثهما/ حبب.

(٣) انظر نظم الدرر ١٠ / ٢٢.

في ذلك.[١]

وإنما قصدوا تَحْقِيق الْخَبَرِ؛ تأكيدًا للازمه؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَشُكُّ فِي أَنَّ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَأَخَاهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِيهِمْ مِنْ بَقِيَّتِهِمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا سَوَاءً فِي الْحَسَدِ لَهُمَا وَالْغَيْرَةِ مِنْ تَفْضِيلِ أَبِيهِمْ إِيَّاهُمَا عَلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَأَرَادَ بَعْضُهُمْ إِقْنَاعَ بعض بذلك؛ ليجتمعوا عَلَى الْكَيْدِ لِيُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَأَخِيهِ، وجاء حرف الجر (إلى) مع أفعل التفضيل (أحب) بدلاً من حرف الجر (مِن)؛ لأنه مبني من المفعول؛ حيث ذكر بعده الْمُفَضَّل عِنْدَهُ . وهو قليل . فإذا ذكر المفضَّل عداه بحرف الجر (مِنْ).[٢]

- **ونلمح في إضافة (أب) إلى ضمير المتكلمين دون ضمير الغائب** اعتراضًا من إخوة يوسف على حبه ليوسف أكثر منهم، كيف ذلك وهو أبوهم؟ فلم يقل (أبيه)؛ بل قال: (أبينا)؛ يعني أننا أيضًا مشاركون له في الحب، لنا أحقية في حبه، لنا مثل ما له، فلِمَ يفضله في هذا الحب؟

٥. غلام مصاحبًا (بشرى): ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ (من الآية: ١٩):

- **من المصاحبات الواردة** في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ (سورة الحجر: من الآية ٥٣)، ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ (من الآية: ١٩)، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ (سورة مريم: من الآية ٧)، ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ (سورة الصافات: الآية

(١) الكشاف ٢ / ٤٤٦/ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٢٠/ بتصرف.

١٠١)، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة الذاريات: من الآية ٢٨).

لَمَّا أَرْسَلَ الوارد دَلْوَهُ تَعَلَّقَ بها يوسف؛ فقال: يا بشراى هَذَا غُلَامٌ مُبَشِّرًا أَصْحَابَهُ بِأَنَّهُ وَجَدَ عَبْدًا، أو كأنه نَادَى الْبُشْرَى؛ فقَال: يَا أيتها الْبُشْرَى هَذَا زَمَانك، والمقصود من نداء مَا لَا يَعْقِلُ تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِ وَتَوْكِيدُ الْقِصَّةِ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَا قَوْمُ أَبْشِرُوا،[١] أو أن المنادى محذوف كما في (يا ليت) أي يا قومي انظروا واسمعوا بشراي.[٢]

. أما لفظ البشرى؛ فمعناه المحوري يدور حول "ظهور الشيء .."[٣] مطلقًا . وهو ما تراه الباحثة دون تقييد بقيد معنى الحسن والجمال الذي قيده ابن فارس . ومنه: أبشرت الرجل وبشَّرته وبشَرت: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، والبشرى: الخبر السار؛ كما في الآية التي معنا،[٤] هذا هو المعنى المشهور والأكثر في (بشر) ومتعلقاته، وإلا فالمعنى المحوري يدل على الظهور مطلقًا دون تقييد . كما مرّ . أي أن الفعل يدل على الإخبار بخبر يظهر أثره على البشرة، سواء كان الخبر حزينًا أو سارًّا، وهو ما قرره ابن سيده[٥] (ت٤٥٨هـ) ووافقه الرازي[٦] (ت٦٠٦هـ).

ـ **هذا**؛ وقد استنبط العلماء من قوله: {هَذَا غُلَامٌ} أنه كان صغيرًا وأن

(١) انظر أحكام القرآن/ للجصاص/ تح: محمد صادق ٤ / ٣٨٢، مشكل إعراب القرآن/ لمكي/ تح: د حاتم الضامن ١ / ٣٨٢، البرهان في علوم القرآن/ للزركشي/ تح: محمد إبراهيم ٣ / ٣٥٣.

(٢) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للألوسي ٦ / ٣٩٤.

٣ معجم مقاييس اللغة ١ / ٢٥١/ باب الباء والشين وما يثلثهما/ ب ش ر.

(٤) انظر المفردات/ ص ١٢٥/ كتاب الباء/ ب ش ر.

٥ انظر المخصص/ لابن سيده/ تح: خليل جفال ٤ / ٣٤٠/ باب فعلت وأفعلت.

٦ انظر تاج العروس ١٠ / ١٨٥/ باب الراء/ فصل الباء/ ب ش ر.

الالتقاط خاص به فلا يلتقط الكبير،[١] وكونه غلامًا يعد صفة مرحلية عمرية في حياة يوسف . عليه السلام .؛ لأن الحديث عنه ليس حديثًا منبترًا وإنما في سياق سورته وقصته.

ومصاحبة الغلام للبشرى في غالب أحواله؛ حتى وهو ملقًى في البئر مهانًا ملتقطًا معاملًا معاملة العبيد، هذه المصاحبة تلاحظ في تعبيرات اللغة التي تعبر عن الواقع الإنساني؛ حيث جبلت النفس البشرية على حب الولد والمسرّة عند لقائه، وصدق الله . تعالى . القائل:

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ (سورة الكهف: من الآية ٤٦).

أقول: التعبير بقوله: (يا بشرى) يصور انفعالات النفس وما فيها آنذاك؛ من تعجب مخلوط بفرحة، ثم بدعوة من المتكلم لمن حوله أن يشاركوه تلك الانفعالات، وهو ما عليه القصص القرآني.. قمة الروعة في نقل الصورة حيةً كما هي، وكأنه ينقلنا إلى مكان وزمان الحدث، فصدق الله القائل:

﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ (سورة النساء من الآية: ٨٢).

٦- التمكين مصاحبًا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ثم مصاحبًا ﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ (من الآية: ٢١) - ثم مصاحبًا (يتبوأ): ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **الآية ٥٦، ثم صفة (مكين) مصاحبة (أمين):** ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ **من الآية ٥٤.**

(١) انظر الإكليل في استنباط التنزيل/ للسيوطي/ تح: سيف الدين الكاتب/ ص ١٥٤.

ـ من المصاحبات القرآنية الواردة: قوله تعالى: ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (سورة الأنعام: ٦)، ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (سورة الكهف من الآية: ٨٤)، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (سورة القصص من الآية: ٦).

وقد تكررت هذه الصفة في سورة يوسف . عليه السلام . مرتين بمصاحبة حرف الجر (في)، إضافة إلى نون العظمة التي تعطي قوة التمكين، ومرة بلفظ (مكين) بمصاحبة صفة (أمين) وهاك التفصيل:

ـ المعنى المحوري للتَّمَكُّنُ: رسوخ الشيء؛ ومنه: مكّنه من الشيء ومكّن له: جعل له عليه سلطانًا، وقدره،[1] وهو " "ضِدُّ التَّعَذُّرِ، وَالتَّمْكِينُ مِنَ الشَّيْءِ: مَا يَصِحُّ بِهِ الْفِعْلُ مِنَ الْآلات وَالْقُوَى، وَهُوَ أَتَمُّ مِنَ الْإِقْدَارِ؛ لِأَنَّ الإِقْدَارَ إِعْطَاءُ الْقُدْرَةِ خَاصَّةً، وَالْقَادِرُ عَلَى الشَّيْءِ قَدْ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْفِعْلُ؛ لِعَدَمِ الْآلَةِ، وَقِيلَ: التَّمْكِينُ مِنَ الشَّيْءِ: إِزَالَةُ الْحَائِلِ بَيْنَ الْمُتَمَكِّنِ وَالْمُمكَّنِ مِنْهُ"[2]، "ومنه المكانة بمعنى الرسوخ في أثناء الشيء، وهذا يعطي المعرفة به، والثبات يعطي القدرة أيضًا"[3].

ـ يتبوأ: أصل البَوَاء: مساواة الأجزاء في المكان؛ يقال: مكان بَوَاء: إذا لم يكن نابيًا بنازله، وبَوَّأْتُ له مكانًا: سوّيته فَتَبَوَّأَ،[4] ومعنى يتبوأ:ينزل ويقيم.[5]

---

١ المعجم الاشتقاقي ٤ / ٢١٠٤/ الميم والكاف وما يثلثهما/ مكن.

(٢) البحر المحيط في التفسير ٤ / ٤٢٦ ، ٤٢٧.

(٣) المعجم الاشتقاقي ٤ / ٢١٠٤/ الميم والكاف وما يثلثهما/ مكن.

٤ انظر المفردات/ ص ١٥٨/ كتاب الباء/ ب ا ء.

(٥) انظر لسان العرب ١ / ٣٨/ باب الهمزة/ فصل الباء/ ب و ء.

ـ مكين: "المَكانة: الْمَنْزِلَةُ، وفلانٌ مَكِينٌ عِنْدَ فُلَانٍ: بَيِّنُ الْمَكَانَةِ"[١]؛ لأن الصفة على فعيل من صيغ المبالغة.

ـ أمين: "أصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأَمْنُ والأَمَانَةُ والأَمَانُ في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسمًا لما يؤمن عليه الإنسان"[٢] . كما في الآية محل البحث . يقال: "رجل أمين وأُمَّانٌ: مأمون به ثقة"[٣]، فهو "فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ"[٤].

قوله: (وكذلك) الإشارة بذلك وما فيه من معنى البعد للتفخيم،[٥] والمراد من قوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾؛ أي بأن عطفنا قلب الملك الذي اشتراه عليه حتى تمكّن من الحكم بالعدل في البلد الذي الملك مستولٍ عليه، والمراد أرض مصر، وإنما أثبت التمكين في الأرض؛ ليدل على لازمه من الملك والتمكن من العدل، وكأن التقدير: ولنعلمه من تأويل الأحاديث مكنّاه؛[٦] ولذا صاحب قوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قوله: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾؛ ليدل على قوة البيان والفصاحة بتعبيره رؤيا الملك، واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي والرعية، فالتمكين بناء على هذه الفصاحة المبنية على العلم والحكمة،[٧]

---

(١) السابق ١٣ / ٣٦٥/ باب النون/ فصل الكاف/ ك و ن.

٢ المفردات/ ص ٩٠/ كتاب الألف/ أ م ن.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٤٩٣/ النون والهمزة والميم/ أ م ن.

(٤) التحرير والتنوير ١٣ / ٧

(٥) انظر روح المعاني ٦ / ٣٩٨.

(٦) انظر إعراب القرآن/ للنحاس/ تح: عبد المنعم خليل ٢ / ١٩٧.

(٧) انظر تفسير القاسمي ٦ / ٢٤٤ : ٢٤٦.

والْإِشَارَةُ إِلَى التَّمْكِينِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ؛ تَنْوِيهًا بِأَنَّ ذَلِكَ التَّمْكِينَ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُطْلَبُ مِنْ نَوْعِهِ؛ بِحَيْثُ لَوْ أُرِيدَ تَشْبِيهُهُ بِتَمْكِينٍ أَتَمَّ مِنْهُ؛ لَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ يُشَبَّهَ بِنَفْسِهِ، فَيَكُونُ الْكَافُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، وَالتَّقْدِيرُ: مَكَّنَا لِيُوسُفَ تَمْكِينًا كَذَلِكَ التَّمْكِينِ.(١)

ـ وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين مسندًا إلى ضميره ـ تعالى ـ من تشريفه ـ عليه السلام ـ والمبالغة في كمال ولايته، والإشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر؛ لا أنه حصل بعد السؤال ما لا يخفى من النعم،(٢) كما صاحب الفعل حرف الجر (في) الذي يدل على الظرفية؛ ليدل على ثبات هذا التمكين، فكأن الأرض وعاء له يتصرف فيها وفق إرادته، فهو مدبرها؛ والتمكين لا ينفك عنه؛ بل ملازم له في كل تصاريف حياته، كلٌّ تحت يده وسيطرته.(٣)

ـ والمراد من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾؛ أي كما أنعمنا على يوسف بما تقدم ذكره؛ مَكَّنَّا له فِي الْأَرْضِ بعد أن أجابه الملك إلى طلبه بأن يجعله على خزائن الأرض؛ قال مُعْلِمًا بأنه أجيب بتسخير الله له: {وكذلك} أي ومثل ما مكنا ليوسف في قلب الملك من المودة والاعتقاد الصالح وفي قلوب جميع الناس؛ ثبتنا قدمه وجعلناها راسخة في أرض مصر (يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ)، له الأمر والنهي فيها بعد الله ـ تعالى ـ،(٤) فقوله: (يَتَبَوَّأُ) كالتفصيل والتوضيح لقوله: (مَكَّنَّا)؛ فهو عبارةٌ عن كمال

(١) انظر التحرير والتنوير ١٢ / ٢٤٦.
(٢) انظر روح المعاني ٧ / ٨.
(٣) انظر مباحث في التفسير الموضوعي/ لمصطفى مسلم/ ص ٢١٦.
(٤) انظر بيان المعاني/ لعبد القادر العاني ٣ / ٢٢٨، نظم الدرر ١٠ / ١٣٢.

قدرته على التصرف فيها.[١]

ـ المراد من قوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (من الآية ٥٤): "متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قِبَلنا؛ لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا، أمين على ما أؤتمنت عليه من شيء"[٢].

ـ وصاحب لفظ (أَمِينٌ) لفظ (مَكِينٌ)؛ ليكون قَوْلهُ: (مَكِينٌ أَمِينٌ) كَلِمَة جَامِعَة لِكُلِّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي كَوْنِهِ مَكِينًا مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ، أَمَّا الْقُدْرَةُ؛ فَلِأَنَّ بِهَا يَحْصُلُ الْمُكْنَةُ، وَأَمَّا الْعِلْمُ؛ فَلِأَنَّ كَوْنَهُ مُتَمَكِّنًا مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ يتوقف على العلم بأفعال الخيروبأضدادها، فَثَبَتَ أَنَّ كَوْنَهُ مَكِينًا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ، وأَمَّا كَوْنُهُ أَمِينًا؛ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ حَكِيمًا لَا يَفْعَلُ الْفِعْلَ لِدَاعِي الشَّهْوَةِ؛ بَلْ يَفْعَلُهُ لِدَاعِي الْحِكْمَةِ، فَثَبَتَ أَنَّ كَوْنَهُ مَكِينًا أَمِينًا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ قَادِرًا، وَعَلَى كَوْنِهِ عَالِمًا بِمَوَاقِعِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَعَلَى كَوْنِهِ بِحَيْثُ يَفْعَلُ لِدَاعِي الْحِكْمَةِ لَا لِدَاعِيَةِ الشَّهْوَةِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ فِعْلُ الشَّرِّ وَالسَّفَه.[٣]

٧ـ إيتاء الحكم والعلم: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢).

وكثيرًا ما جاءت المصاحبة بينهما في القرآن الكريم وصفين متلازمين للحق . جل وعلا .؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنعام

(١) انظر تفسير أبي السعود ٤ / ٢٨٧.

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن/ للطبري/ تح: أحمد شاكر ١٦ / ١٤٧.

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي ١٨ / ٤٧٢ ، ٤٧٣، غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ للنيسابوري/ تح: الشيخ زكريا عميرات ٤ / ١٠١.

من الآية: ٨٣ ، ١٢٨)، ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنعام من الآية: ١٣٩، سورة الحجر من الآية ٢٥)، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (سورة الذاريات من الآية: ٣٠).

ـ الحكم والعلم: سبق بيان معناهما.

والمراد من الحكم . هنا . أن يحكم حكمًا صحيحًا فيما يعرض له من مهامّ الأمور، ومشكلات الحوادث.(١)

ـ وإنما صاحب العلم الحكم؛ لأن الْحُكْمَ وَالْحِكْمَةَ أَصْلُهُمَا حَبْسُ النَّفْسِ عَنْ هَوَاهَا، وَمَنْعُهَا مِمَّا يَشِينُهَا، فَالْمُرَادُ مِنَ الْحُكْمِ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْحِكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ.

ـ وَقَدَّمَ الحكم (الحكمة العملية) . هنا . على العلم (الحكمة النظرية)؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الرِّيَاضَاتِ يَشْتَغِلُونَ بِالْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ، ثُمَّ يَتَرَقَّوْنَ مِنْهَا إِلَى الْحِكْمَةِ النَّظَرِيَّةِ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَفْكَارِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْأَنْظَارِ الرُّوحَانِيَّةِ؛ فَإِنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَى الْحِكْمَةِ النَّظَرِيَّةِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَنْزِلُونَ مِنْهَا إِلَى الحكمة العملية، وطريقة يُوسُفَ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . هُوَ تقديم الحكمة العملية على الحكمة النظرية؛ لِأَنَّهُ اتقى الله . تعالى . وصَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ؛ فَفَتَحَ اللَّه عَلَيْهِ أَبْوَابَ الْمُكَاشَفَاتِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ: آتَيْناهُ حُكْمًا وَعِلْمًا.

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْحُكْمِ صَيْرُورَةَ نَفْسِهِ الْمُطْمَئِنَّةِ حَاكِمَةً عَلَى نَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ مُسْتَعْلِيَةً عَلَيْهَا قَاهِرَةً لَهَا، وَمَتَى صَارَتِ الْقُوَّةُ الشَّهْوَانِيَّةُ وَالْغَضَبِيَّةُ مَقْهُورَةً ضَعِيفَةً؛ فَاضَتِ الْأَنْوَارُ الْقُدُسِيَّةُ وَالْأَضْوَاءُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ عَالَمِ الْقُدُسِ عَلَى جَوْهَرِ النَّفْسِ، وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ فِي أَصْلِ جَوْهَرِهَا شَرِيفَةً؛ كملت مَعَارِفُهَا وَقويت أَنْوَارُهَا وعظم لَمَعَانُ الْأَضْوَاءِ فِيهَا، فَقَوْلُهُ: آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً

(١) انظر تفسير المراغي ١٢ / ١٢٧.

إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِكْمَالِ النَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا الْعَمَلِيَّةِ والنظرية؛[١]؛وتنكيرُهما للتفخيم؛ أي حكمًا وعلمًا لا يُكتنه كُنهُهما ولا يقادَرُ قدرُهما، فهما ما آتاه الله . تعالى . عند تكاملِ قُواه سواءٌ كانا عبارةً عن النبوة والحُكم بين الناس أو غيرِهما.[٢]

٨ ـ **الإحسان مصاحبًا (نجزي) ثم مصاحبًا (نراك)، ثم مصاحبًا (أجر):** ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **(من الآية: ٢٢)**، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **(من الآية:٣٦، ٧٨)**، ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **(من الآية: ٥٦)**، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ **(من الآية: ٩٠)**.

ـ معنى الجزاء المحوري هو: "قِيَامُ الشَّيْءِ مَقَامَ غَيْرِهِ وَمُكَافَأَتُهُ إِيَّاهُ؛ يُقَالُ: جَزَيْتُ فُلَانًا أَجْزِيهِ جَزَاءً"[٣].

ـ معنى الأجر: الأجر والأجرة: ما يعود من ثواب العمل دنيويًا كان أو أخرويًا، ولا يقال إلا في النفع دون الضر؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (سورة آل عمران من الآية: ١٩٩)، والجزاء يقال فيما كان عن عقدٍ وغير عقد، ويقال في النافع والضار؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾ (سورة الإنسان الآية: ١٢)، وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ (سورة النساء من الآية: ٩٣)؛ يقال: أَجَر زيد عمرًا يأجره أجرًا: أعطاه الشيء بأجرة،

(١) انظر تفسير الرازي ١٨ / ٤٣٧.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٤ / ٢٦٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ١ / ٤٥٥/ كتاب الجيم/ باب الجيم والزاء وما يثلثهما/ ج ز ي.

وآجَرَ عمرو زيدًا: أعطاه الأجرة؛ قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ (سورة القصص من الآية: ٢٧). [١]

الإحسان: سبق بيان معناه.

أما عن صفة الإحسان؛ فهي متأصلة في يوسف . عليه السلام .؛ حتى إن الله تعالى وصفه بها مع إخوته من الأنبياء في سورة الأنعام، ثم وصفه بها منفردًا في سورة يوسف خمس مرات في ثنايا قصته؛ حيث يُجمِع كلُّ مَن عَرَفه على إحسانه؛ على اختلاف بيئاتهم وطبائعهم ونفسياتهم، حتى يراه أهل السجن محسنًا، ويراه إخوته كذلك، ونرى في هذه الآيات الخمس كيف تتجلى صفة الإحسان في شخص نبي الله يوسف . عليه السلام . عَلَمًا من أعلام المحسنين الذين صدق إحسانهم؛ حيث تفيض معاني الإحسان جلالًا يحيط النبوة بهالات إحسانية لا تخفى سماتها ولا يغيب نورها، ويفيض الله على نبيه ما يفيضه على المحسنين من جزاء وأجر.[٢]

{وكذلك} أي ومثل ذلك الجزاء الذي جزيناه به (نجزي المحسنين)، وفي هذا تنبيه على أنه كان محسنًا في عمله، متقيًا في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه،[٣] "وفي تعليق الجزاءِ المذكورِ بالمحسنين إشعارٌ بعلّية الإحسان له"[٤].

وهو . جل شأنه . "يعد مَن اصطفى مِن خلقه إعدادًا؛ يهيئهم إلى ما

(١) انظر المفردات/ ص ٦٤ ، ٦٥/ كتاب الألف/ أ ج ر.

(٢) انظر الإحسان في سورة يوسف/ د عبد المنعم عبد الله/ مقال في مجلة منار الإسلام/ ص ١٣.

(٣) انظر الكشاف ٢ / ٤٥٤.

(٤) تفسير أبي السعود ٤ / ٢٦٤.

اختارهم له من مهام النبوة وتبعاتها؛ فيصقلهم بالمواقف الصعبة ويصهرهم بالشدائد القوية؛ ليؤهلهم تأهيلًا يتفق وجلال المهمة التي يكلفون بها"[١].

والمراد من (المحسنين) في قوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

الذين يحسنون عبارة الرؤيا؛ أى: يجيدونها، رأياه يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤوّلها له، فقالا له ذلك؛ وَمِنْ عَادَةِ الْمَسَاجِينِ حِكَايَةُ الْمَرَائِي الَّتِي يَرَوْنَهَا؛ لِفِقْدَانِهِمُ الْأَخْبَارَ الَّتِي هِيَ وَسَائِلُ الْمُحَادَثَةِ وَالْمُحَاوَرَةِ، وَلِأَنَّهُمْ يَتَفَاءَلُونَ بِمَا عَسَى أَنْ يُبَشِّرَهُمْ بِالْخَلَاصِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَكَانَ عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي يَشْتَغِلُ بِهَا كَهَنَةُ الْمِصْرِيِّينَ وعُلَمَاؤهِمْ، فَلِذَلِكَ أَيَّدَ اللَّهُ . تعالى . بِهِ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ– بَيْنَهُمْ، أو المراد من المحسنين إلى أهل السجن، وعن قتادة (ت ١١٨هـ): كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا، اصبروا تؤجروا، وعلى هذا يكون الإحسان بمعنى الإنعام،[٢] وبناء على ما سبق يكون الإحسان في الفعل، أو المراد من العلماء، لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم، وعلى هذا يكون الإحسان في العلم،[٣] وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ فَقَالُوا: إِنَّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يُوثَقُ بِمَا يَقُولُهُ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، وَفِي سَائِرِ الأمور.[٤]

. وهكذا شمل الإحسان كثيرًا من المعاني الرائعة الراقية التي حث عليها

(١) الإحسان في سورة يوسف/ ص ١٤.
(٢) انظر الكشاف ٢ / ٤٦٨ ، ٤٦٩، التحرير والتنوير ١٢ / ٢٦٩
(٣) انظر تفسير القاسمي ٦ / ٢٤٦.
(٤) انظر تفسير الرازي ١٨ / ٤٥٤.

الدين؛ ولذا كان وعد الله . تعالى . للمحسنين بالجزاء الكريم والأجر العظيم.

ـ وإنما آثر الفعل (نراك) في هذا الموضع؛ ليؤكد على إقرارهما بهذه الصفة فيه، وعلى وضوحها فيه أيما وضوح؛ حتى كأنها تُرَى كالشيء المحسوس؛ فعلمهما بإحسانه كالرؤية له.(١)

وكما رآه أهل السجن محسنًا رآه إخوته كذلك: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الآية: ٧٨)؛ أي من المحسنين في جميع أفعاله معهم ومع غيرهم"(٢).

ـ وأما مصاحبة الإحسان للأجر كالجزاء سابقًا؛ فالمحسنون مجزيون، مأجورون، مثابون إنعامًا وإكرامًا وعطاءً واحتفاءً وإحسانًا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ (سورة الرحمن الآية ٦٠).

"ويمن الله . تعالى . على النبي المحسن يوسف . عليه السلام .؛ فيبدل ضيق سجنه متسعًا من الأرض، ويمكن له فيها؛ ليتخذ ما يشاء من منازل، وهذا عطاء ربك الذي ينعم به على من يشاء من عباده، ولا يضيع أجر المحسنين"(٣).

والمراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (من الآية:٩٠)؛ أي من يخف الله وعقابه وَيَصْبِرْ عن المعاصي وعلى الطاعات؛ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أجرهم، واستبدل بالضمير لفظ

(١) نظم الدرر ١٠ / ٨١/ بتصرف.
(٢) المحرر الوجيز ٣ / ٢٦٩.
(٣) الإحسان في سورة يوسف/ ص ١٤.

المحسنين؛ لاشتماله على المتقين والصابرين[١]، "فالنبي يوسف تعرض إلى مواقف قاسى فيها ما قاسى؛ فتعرض لحقد إخوته ورميه في غيابة الجب صغيرًا، واتهامه بالسوء في بيت عزيز مصر، والنبي يوسف صرف الله عنه السوء والفحشاء ودخوله السجن، وقد لاقى كل ذلك بصبر جميل ورضا نبيل وعزيمة قوية وإرادة فتية"[٢].

والأجر والجزاء قريبان من بعضهما؛ فهما مشتركان في المثوبة، لكنه خص كل سياق بأحدهما فعبر بالجزاء أولًا ـ هناك . ؛ لأنه عام في الخير والشر؛ حيث كان يوسف في أول أمره في بداية حياته وجهاده، ثم لما اجتهد في طاعاته على اختلاف سني حياته ولم يقصر في عبادته لربه على الرغم من معاناته وابتلائه؛ عبر بالأجر؛ لكونه في الخير خاصة؛ حيث كان في مقابل تقواه وصبره الصبر الجميل.

٩ـ صرف السوء والفحشاء: ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ **(من الآية: ٢٤).**

من المصاحبات القرآنية: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ (سورة البقرة من الآية: ١٦٩).

ـ معنى الصَّرْف: "ردّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره"[٣].

ـ معنى السُّوء: "كلّ ما يغمّ الإنسان من الأمور الدّنيويّة، والأخروية، ومن الأحوال النّفسيّة، والبدنيّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم"[٤].

(١) انظر الكشاف ٢ / ٥٠٢.

(٢) الإحسان في سورة يوسف/ ص ١٣ ، ١٤.

(٣) المفردات/ ص ٤٨٢/ كتاب الصاد/ ص ر ف.

(٤) السابق/ ص ٤٤١/ كتاب السين/ س و أ.

. معنى الفحشاء المحوري: يدل "عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفُحْشُ وَالْفَحْشَاءُ وَالْفَاحِشَةُ. يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ فَاحِشٌ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ"[1].

وفرق المفسرون بين السُّوء والفحشاء في هذا السياق؛ بأن السوء: هو مقدمات الزنا، والفحشاء: هو الزنا،[2] والكافُ في (كذلك) منصوبُ المحلِّ، وذلك إشارةٌ إلى الإراءة المدلولِ عليها بقولِه تعالَى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ أي مثل ذلك التبصيرِ والتعريفِ عرفناه برهاننا فيما قبل، أو إلى التثبيت اللازمِ له؛ أي مثلَ ذلك التثبيتِ ثبتناه (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السوء والفحشاء)، وصاحب السوء الفحشاء؛ ليبرئ ساحته . عليه السلام . تمامًا مما قد يرميه أصحاب النفوس الضعيفة من أنه هَمَّ ثم تراجع، فقد صرف الله . تعالى . عنه مقدمات الفحشاء (السوء)، فلا همّ ولا خاطرَ فكر خطر عليه، والتعبير بقوله: (لِنَصْرِف): ليدل على أنه . عليه السلام . لم يقع منه همٌّ بالمعصية ولا توجَّه إليها قط، وإلا لقيل: لنصرِفَه عن السوء والفحشاء، وإنما توجه إليه ذلك من خارجٍ فصرَفه الله . تعالى . عنه، فهو مطهر بما فيه من موجبات العفةِ والعصمة.[3]

---

١ معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٧٨/ باب الفاء والحاء وما يثلثهما/ ف ح ش.

(٢) انظر اللباب في علوم الكتاب/ لسراج الدين الدمشقي/ تح: الشيخ عادل أحمد، الشيخ علي محمد ١١ / ٦٩.

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٤ / ٢٦٧.

١٠ـ المخلصين مصاحبًا (عبادنا): ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ **(من الآية: ٢٤).**

- من المصاحبات الواردة: قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة الحجر الآية: ٤٠، سورة ص الآية: ٨٣)، ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة الصافات الآية: ٤٠ ، ٧٤ ، ١٢٨ ، ١٦٠ ، ١٦٩).

ـ معنى (عباد) المحوري: "العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها، لأنها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى"[١].

ـ معنى (المخلصين) المحوري هو: "تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ؛ يَقُولُونَ: خَلَّصْتُهُ مِنْ كَذَا وَخَلَصَ هُوَ، وَخُلَاصَةُ السَّمْنِ: مَا أُلْقِيَ فِيهِ مِنْ تَمْرٍ أَوْ سَوِيقٍ لِيَخْلُصَ بِهِ"[٢].

أي أنه يدور حول التنقية من كل شوب، والتهذيب والتمحيض، وهو ما عليه معنى (المخلصين) . هنا . فقد نقّاه الله . تعالى . من كل سوء.

و(مِنْ) للتبعيض؛ أي بعض عبادنا، فهو مخلَص من جملة المخلَصين، أو هو ناشئ منهم؛ لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ (سورة ص من الآية: ٤٦). [٣]

وقوله: ﴿﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ تعليلٌ لما سبق من

---

١ المفردات/ ص ٥٤٢/ كتاب العين/ ع ب د.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٢٠٨/ باب الخاء واللام وما يثلثهما/ خ ل ص.

(٣) انظر الكشاف ٢ / ٤٥٨.

مضمون الجملةِ بطريق التحقيقِ، والمخلصون هم الذين أخلصهم الله . تعالى . لطاعته؛ بأن عصمهم عما هو قادحٌ فيهم؛ فهو منتظَمٌ في سلكهم داخلٌ في زمرتهم من أول أمره؛ بدلالة الجملةِ الاسميةِ لا أن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك، فبطل احتمال صدورِ الهمِّ بالسوء منه عليه السلام بالكلية.(١)

وهذا الحدث الذي كان سببًا مباشرًا فى الحيلولة دون وقوع المعصية، هو بالنسبة ليوسف . عليه السلام . برهان من ربّه، وآية من آيات فضله عليه، وحراسته له؛ فالأسباب الموصّلة إلى الأعمال الطيبة، أو الحائلة دون السيئة، هى دليل على عناية الله وتوفيقه.(٢)

. وعبر بالجمع؛ ليدل على أنه مخلَص نشأ في عباد مخلَصين فهو من ذرية إبراهيم . عليهما السلام . وفي هذا من التكريم ما فيه، وأضاف (عباد) إلى ضمير العظمة (نا)؛ ليناسب المكانة العظيمة التي تبوأها يوسف . عليه السلام.

١١. ملك مصاحبًا أسلوب القصر، ومصاحبًا (كريم): ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ **(من الآية: ٣١).**

. الملك: ظاهر المعنى.

. معنى (كريم): "صفة تقتضي رفع المقام"(٣)؛ لتنزهه عن كل ما يشين، واشتماله على الخصال الكريمة وتعبّده تعبدًا يقربه من مستوى الملائكة.(٤)

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٤ / ٢٦٧.

(٢) انظر التفسير القرآني للقرآن ٦ / ١٢٥٥ ، ١٢٥٦.

(٣) البحر المحيط ٥ / ٢٧٢.

(٤) انظر المعجم الاشتقاقي ٤ / ١٨٨٦/ الكاف والراء وما يثلثهما/ كرم.

نفى النسوة عنه البشرية؛ لما عليه من محاسن الصورة والسيرة، وأثبتن له المَلَكية وبتتن بها الحكم؛ لأن الله . عز وجل . ركز في الطباع ألّا أحسن من الملك، كما ركز فيها ألّا أقبح من الشيطان؛ ولذلك يشبَّه كل متناهٍ في الحسن والقبح بهما، وما ركز ذلك فيها؛ إلا لأنّ الحقيقة كذلك، كما ركز في الطباع ألّا أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة؛[١] فلذا حَسُنَ التَّشْبِيهُ بِالْمَلَكِ عِنْدَ إِرَادَةِ تَقْرِيرِ الْكَمَالِ وَالْفَضِيلَةِ . هنا .،[٢] فما كان عليه يوسف ـ عليه السلام . من الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة غير معهود للبشر، فهو من خواص الملائكة،[٣] والمراد بهذا التنزيه تعظيمه غاية التعظيم؛ فكأنه قيل: فما هو؟ فقلن: ما هذا في الحسن والجمال بشرًا، وأعدن الإشارة؛ دفعاً لإمكان الغلط (إن هذا إلا ملك كريم)، الذي يدل على صفتين متلازمتين نكرتين منونتين؛ يلمح فيهما معنى التفخيم والتعظيم والتجلة،[٤] وجاء أسلوب القصر حكاية عن النسوة (إن هذا إلا..)؛ لأنهن أردن تشبيهه "بِوَاحِدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِطَرِيقَةِ حَصْرِهِ فِي جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ تَشْبِيهًا بَلِيغًا مُؤَكَّدًا"[٥].

١٢ـ الاستعصام مصاحبًا المراودة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ **(من الآية: ٣٢).**

- معنى الرَّوْدُ: "التّردّد في طلب الشيء برفق"[٦]؛ ومن ذلك:مراودة الرجل المرأة

(١) انظر الكشاف ٢ / ٤٦٦، الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/ تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش ٩ / ١٨٣.

(٢) انظر تفسير الرازي ٢٦ / ٣٣٧.

(٣) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للبيضاوي/ تح: محمد المرعشلي ٣ / ١٦٢.

٤ انظر نظم الدرر ١٠ / ٧٣.

(٥) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٦٣.

(٦) المفردات/ ص ٣٧١/ كتاب الراء/ ر و د.

المرأة عن نفسها أو المرأة الرجل عن نفسه؛ لأنها مجاذبة؛ فالمراود يحاول جذب الآخر مرة بعد مرة، وجاء معنى المحاولة من صيغة المفاعلة.[١]

ـ معنى الاستعصام: عَصَمَه: منعه ووقاه؛ كأنما أحاطه بطبقة تحفظه أو أمسكه شديدًا أي حفظه، والمراد من (اسْتَعْصَم)؛ أي تماسك واستعصى[٢]، والاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد؛ كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها؛ ونحوه استمسك واستفحل الخطب، وهذا بيان لما كان من يوسف . عليه السلام . لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه.[٣]

تحكي امرأة العزيز للنسوة مراودتها له عن نفسه واستعصامه، لكنه يشتد في إبائه؛ قائلًا: إن السجن أحب إلي مما يدعونني إليه؛ وهذه العبارة تدل على غاية البغض لموافقتها، فإن السجن لا يتصور حبه عادة؛ لأنه شر محض، وإنما المعنى أنه لو كان يتصور الميل إليه؛ كان ميلي إليه أكثر، ومع ذلك فأنا أوثره على ما دعونني إليه؛ لأنه أخف الضررين،[٤] وهذا دليل على ثَبَاتِ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – عَلَى الْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ وَكَرَمِ الْخُلُقِ، فَالْمُرَاوَدَةُ الْمُقْتَضِيَةُ تَكْرِيرَ الْمُحَاوَلَةِ بِصِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ، وَالْمُفَاعَلَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّكْرِيرِ، وَقِيلَ: الْمُفَاعَلَةُ تَقْدِيرِيَّةٌ بِأَنِ اعْتَبَرَ الْعَمَلَ مِنْ جَانِبٍ وَالْمُمَانَعَةَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْعَمَلِ بِمَنْزِلَةِ مُقَابَلَةِ الْعَمَلِ بِمِثْلِهِ، شَبَّهَ حَالَ الْمُحَاوِلِ أَحَدًا عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مُكَرِّرًا ذَلِكَ بِحَالِ مَنْ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ فِي الْمُعَاوَدَةِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَذْهُوبِ عَنْهُ، فَأَطْلَقَ رَاوَدَ بِمَعْنَى حَاوَلَ، وعَنْ لِلْمُجَاوَزَةِ، أَيْ رَاوَدَتْهُ مُبَاعِدَةً لَهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَيْ بِأَنْ

(١) انظر المعجم الاشتقاقي ٢ / ٧٨٥/ الراء والدال وما يثلثهما/ رود.
(٢) انظر المعجم الاشتقاقي ٣ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧/ العين والصاد وما يثلثهما/ عصم.
(٣) انظر الكشاف ٢ / ٤٦٧.
(٤) انظر نظم الدرر ١٠ / ٧٥.

يَجْعَلَ نَفْسَهُ لَهَا، فَالنَّفْسُ أُرِيدَ بِهَا عَفَافُهُ وَتَمْكِينُهَا مِنْهُ لِمَا تُرِيد.(١)

وهكذا يسرد القرآن قصة يوسف . عليه السلام . مع امرأة العزيز، ليبرز بلوغه أقصى درجات العفة التي دل عليها لفظ الاستعصام، ذلك هو كتاب الله تعالى الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (سورة فصلت الآية: ٤٢)؛ حيث الدقة في تصوير الأحداث، حتى ليشعر من يقرأ هذه الآيات أنه يشاهد ويسمع، فكل لفظة فيها دقة متناهية، فيقدم لفظة استعصم على لفظة امتنع أو عف أو أعرض؛ لأن اللفظة مناسبة للسياق والمقام: أما عن السياق؛ فقد ناسبت ما قبلها من قول امرأة العزيز: (راودته)؛ فامرأة العزيز على مكانتها وكبريائها هي التي تراوده؛ مع ما تحتمله اللفظة من تكرار ومحاولات تهيئ وتسهل له الفاحشة وتؤمنه من العقاب الدنيوي؛ لكن رده كان الاستعصام؛ أي المنع الحاسم؛ فلم يأت له مجرد هاجس نفسي أن يستجيب لها، فالعصمة قمة العفة، وأضيف إليها السين والتاء؛ للدلالة على اجتهاده في الاستزادة من هذه العفة.

وأما عن المقام؛ فقد ناسبته تمامًا؛ حيث الكلام عن نبي من أنبياء الله . تعالى . من عباده المخلَصين المعصومين.

١٣. الوحدانية مصاحبة (فضل الله): ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ **(من الآية:٣٨).**

- معنى فضل المحوري: "يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةٍ فِي شَيْءٍ؛ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ وَالْخَيْرُ "(٢).

(١) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٨/ باب الفاء والضاد وما يثلثهما/ ف ض ل.

ـ وإنما أشار إلى نعمة التوحيد بأنها فضل من الله؛ لأنها أعظم نعمة على الإطلاق؛ فبها يفضل المسلم على غيره ممن أشرك؛ فهذه الجملة (ذلك مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنا) "زِيَادَةٌ فِي الِاسْتِئْنَافِ وَالْبَيَانِ؛ لِقَصْدِ التَّرْغِيبِ فِي اتِّبَاعِ دِينِ التَّوْحِيدِ بِأَنَّهُ فَضْلٌ"(١)، "وخصص بقوله: (مَا كَانَ لنا) مع أن الشرك لا يصح من غيرهم أيضًا؛ لأنه يثبت بالطريق الأولى، أو المرد نفي الوقوع منهم لعصمتهم، وزيادة (من) في المفعول، (مِنْ شَيْءٍ)؛ لتأكيد العموم، أي لا نشرك به شيئًا من الأشياء، قليلًا أو حقيرًا، صنمًا أو ملكًا أو جنيًا أو غير ذلك"(٢).

١٤ـ الصديقية مصاحبة (أيها): ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ **(الآية: ٤٦):**

ـ معنى الصدق المحوري: "يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ؛ مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ، سُمِّيَ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ، وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ: شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ. وَرُمْحٌ صَدْقٌ ... وَالصِّدِّيقُ: الْمُلَازِمُ لِلصِّدْقِ"٣، و"فِعّيل للمبالغة والكثرة"(٤).

. وفرق الماوردي (ت ٤٥٠هـ) بين الصدِّيق والصادق؛ قائلًا: "الفرق بين الصادق والصدّيق أن الصادق في قوله بلسانه، والصدِّيق من تجاوز صدق

(١) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٧٣.

(٢) تفسير القاسمي ٦ / ١٧٦.

٣ معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٣٩/ باب الصاد والدال وما يثلثهما/ ص د ق.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١١٣.

لسانه إلى صدق أفعاله؛ في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره"[١]، وسمي أبو بكر صديقًا من صدق غيره؛ إذ مع كل تصديق صدَّق،[٢] وقد قال له صاحب السجن ذلك بعد أن ذاق أحواله؛ فلَمْ يُجَرِّبْ عَلَيْهِ كَذِبًا، وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه؛[٣] فلذا ناداه بـ (أيها)؛ تكريمًا له وإجلالًا؛ إضافة إلى ما في النداء من استعطاف واستمالة؛ حتى يستجيب لما يريد.

وهذه الصفة . وإن كان صاحب السجن قد وصفه بها؛ إلا أنه . عليه السلام . كان جديرًا بها، وقد ظهر ذلك جليًّا بعد أن تيسرت له كل أسباب المعصية؛ لكنه تعفف عنها ولما اتضح الأمر وظهرت براءة ساحة يوسف . عليه السلام .؛ أقرت امرأة العزيز بصدقه.[٤] فمن حوله يقرون له بالصدق على اختلاف بيئاتهم واختلاف أحواله . عليه السلام ..

١٥. حفيظ عليم: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ **(الآية: ٥٥)**

- **المعنى المحوري للجذر حفظ هو:** حياطة قوية ضابطة للشيء فلا يضيع ولا يتفلت؛ كحفظ المال لا يضيع ولا ينتقص بخيانة أو سرقة أو سوء تدبير، ومن حفظ المال بحسن تدبيره الآية الكريمة التي معنا،[٥] والحِفْظ: ضد النِّسْيان؛ وَهُوَ التعاهُد وقلَّة الْغَفْلَة.[٦]

ـ **عَلـيم:** سبق بيان معناه المحوري، وهو "على وزن فَعِيل: مِنْ أَبْنِيَةِ

(١) تفسير الماوردي ٣ / ٤٣، وانظر التعريفات/ للجرجاني/ ص ١٣٢.
(٢) انظر تفسير ابن عطية ٣ / ٢٤٩.
(٣) انظر تفسير الرازي ١٨ / ٤٦٥.
(٤) انظر الفواتح الإلهية / ص ٣٧٢.
(٥) انظر المعجم الاشتقاقي ١ / ٤٦٥/ الحاء والفاء وما يثلثهما/ حفظ.
(٦) انظر لسان العرب ٧ / ٤٤١/ باب الظاء/ فصل الحاء/ ح ف ظ.

الْمُبَالِغَةِ"[1]، وكذا حفيظ.

والمراد من قوله: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ أي ولِّنى خزائن أرضك؛ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ: أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف، وإنما قال ذلك؛ ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله . تعالى . ولعلمه أنّ أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية؛ ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا.[2]

ـ وصاحب الحفظ العلم؛ لأن الصفتين مطلوبتان لمواجهة هذا الأمر، وقدّم الحفظ على العلم؛ لأن الحفظ أولى، وأهم من العلم؛ إذ قد يستغنى الحفظ هنا عن العلم، ويتحقق للناس بعض الخير، أو كثير منه، على حين أنه لو استغنى العلم عن الحفظ؛ لما تحقق للناس خير، ولكان العلم مجرد حقائق مودعة فى كتاب، فإذا اجتمع الحفظ والعلم؛ اجتمع الخير كلّه.[3]

ويوسف . عليه السلام . بعلمه قد كشف عن الداء، وعرف الدواء، وبحزمه وضبطه قدر على أن يحمل المريض على التزام ما يرسمه له من أسلوب الحياة، وما يقدّم إليه من دواء، وإن كان مرًّا، فالمشكلة التي تواجه مصر فى هذا الوقت كانت محتاجة إلى الحزم الصارم، وأخذ الناس على طريق مرسوم لا يحيدون عنه، وإلا كان الهلاك والبلاء.[4]

١٦ ، ١٧. مصاحبة الوفاء للكيل، ومصاحبة خير للمنزلين: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ

(١) السابق ١٢ / ٤١٦ ، ٤١٧/ باب الميم/ فصل العين المهملة/ ع ل م.
(٢) انظر الكشاف ٢ / ٤٨٢، تفسير ابن كثير ٤ / ٣٩٥.
(٣) انظر التفسير القرآني للقرآن ٧ / ٥ ، ٦.
(٤) انظر السابق ٧ / ٦.

وَأَنَاْ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾ **(من الآية: ٥٩).**

- من المصاحبات القرآنية: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ (سورة الأنعام من الآية: ١٥٢)، ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ (سورة هود ـ عليه السلام ـ من الآية: ٨٥)، ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ ﴾ **(سورة الإسراء من الآية: ٣٥)**، ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴾ **(سورة الشعراء من الآية: ١٨١)**، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾ **(سورة المؤمنون من الآية: ٢٩).**

- معنى الوفاء المحوري: يدل عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ؛ مِنْهُ الْوَفَاءُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ، وَوَفَى: أَوْفَى، فَهُوَ وَفِيٌّ، وَتَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتُهُ؛ إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ حَتَّى لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا.(١)

. والمراد بالكيل: " كيل الطعام"(٢).

ـ معنى الخير: الْخَيْرُ: ضد الشَّرِّ، وفلان خير الناس؛ أي أفضل الناس.(٣)

. ومعنى المنزلين: المضيفين، فالنَّزِيلُ: الضَّيْفُ، وَمَعْنَى أَقمت لَهُمْ نُزُلهم أَي أَقمت لَهُمْ غِذاءَهم وَمَا يصلُح مَعَهُ أَن يَنْزِلُوا عَلَيْه.(٤)

. والمراد: لا أبخس الناس شيئًا، وأتمّ لهم كيلهم، وأزيد لكم حمل بعير في

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٦ / ١٢٩/ باب الواو والفاء وما يثلثهما/ و ف ى.
(٢) المفردات/ ص ٧٣٠/ كتاب الكاف/ ك ي ل.
(٣) انظر لسان العرب ٤ / ٢٦٤/ باب الراء/ فصل الخاء/ خ ي ر.
(٤) انظر السابق ١١ / ٦٥٨/ باب اللام/ فصل النون/ ن ز ل.

خراجكم، وأكرم مثواكم، وأحسن إليكم، وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ المضيّفين.(١)

ـ وصاحب الوفاء الكيل؛ لأن معاملته . عليه السلام . معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة واجبِ العدل، وأما الضيافة؛ فليس للناس فيها حقٌّ فخصهم في ذلك بما شاء، وإيثارُ صيغة الاستقبالِ (أُوفِي) مع كون هذا الكلامِ بعد التجهيز؛ للدِلالة عَلى أنَّ ذلكَ عادةٌ له مستمرَّة، وقوله:(وَأَنَاْ خَيْرُ المُنْزِلِين) جملة حالية؛ أي ألا ترون أني أوفي الكيلَ لكم إيفاءً مستمرًا والحالُ أني في غاية الإحسانِ في إنزالكم وضيافتِكم، وتخصيصُ الرؤية بالإيفاء؛ لوقوع الخطابِ في أثنائه، وأما الإحسانُ في الإنزال، فقد كان مستمرًا فيما سبق ولحِق؛ ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسميةِ؛ لإفادة الثبوت والدوام، ولم يقله . عليه السلام . بطريق الامتنانِ؛ بل لحثّهم على تحقيق ما أمرهم به.(٢)

١٩ـ الرفع مصاحبًا الدرجات: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ **(من الآية: ٧٦)**

من المصاحبات القرآنية: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة البقرة من الآية: ٢٥٣)، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة الأنعام من الآية: ١٦٥)، ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (سورة غافر من الآية: ١٥).

ـ معنى الرفع: الإعلاء ويكون حسيًّا ماديًّا؛ كما في البناء؛ إذا طوّلته؛

(١) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن/ للثعلبي/ تح: ابن عاشور ٥ / ٢٣٥.

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٤ / ٢٨٨.

نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ (سورة البقرة من الآية: ١٢٧)، ويكون معنويًّا كما في المنزلة؛ إذا شرّفتها، نحو قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾.(١)

- معنى الدرجات: مفردها: الدّرجة وهي "نحو المنزلة؛ لكن يقال للمنزلة: درجة إذا اعتبرت بالصّعود دون الامتداد على البسيطة، كدرجة السّطح والسّلّم، ويعبّر بها عن المنزلة الرفيعة؛ قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (سورة البقرة من الآية: ٢٢٨)؛ تنبيهًا لرفعة منزلة الرجال عليهنّ في العقل والسّياسة"(٢).

- ولذا عبر بالدرجة دون المنزلة؛ لمناسبتها للرفع؛ حيث رُقِيّ يوسف عليه السلام . ورِفْعَته في مكانته ومنزلته، ولما كان يوسف . عليه السلام . إنما تمكن من ذلك بعلو درجته وتمكنه ورفعته بعدما كان فيه عندهم من الصغار؛ كان ذلك محل عجب؛ فقال تعالى التفاتًا إلى مقام التكلم: (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ)، وعبر بالاسم الموصول (من)؛ وإن كان الأصل التعبير بـ (درجاته) للتعميم؛ لأنه أدل على العظمة، فكان أليق بمظهرها، وإيثارُ صيغة الاستقبالِ؛ للإشعارِ بأن ذلك سنةٌ مستمرةٌ غيرُ مختصةٍ بهذه المادة،(٣) والمراد نرفع الدرجات بصنوف العطاء؛ من العلم والكرامات، وقهر الهوى، والتوفيق للهدى،

(١) انظر المفردات/ ص ٣٦٠ ، ٣٦١/ كتاب الراء/ ر ف ع، التفسير البياني للقرآن الكريم/ د بنت الشاطئ ١ / ٦٦.

(٢) المفردات/ ص ٣١٠/ كتاب الدال/ د ر ج.

(٣) انظر السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير/ لشمس الدين الخطيب ٢ / ١٢٦ ، ١٢٧، تفسير أبي السعود ٤ / ٢٩٧.

كما رفعنا يوسف،[١] وهذه الجملة "تَذْيِيلٌ لِقِصَّةِ أَخْذِ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَخَاهُ لِأَنَّ فِيهَا رَفْعَ دَرَجَةِ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِالتَّدْبِيرِ الْحَكِيمِ مِنْ وَقْتِ مُنَاجَاتِهِ أَخَاهُ إِلَى وَقْتِ اسْتِخْرَاجِ السِّقَايَةِ مِنْ رَحْلِهِ، وَرَفْعَ دَرَجَةِ أَخِيهِ بِإِلْحَاقِهِ لِيُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي الْعَيْشِ الرَّفِيهِ وَالْكَمَالِ بِتَلَقِّي الْحِكْمَةِ مِنْ فِيهِ، ثم رَفْعَ دَرَجَاتِ إِخْوَتِهِ وَأَبِيهِ فِي الِاسْتِقْبَالِ بِسَبَبِ رَفْعِ دَرَجَةِ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَحُنُوِّهِ عَلَيْهِمْ، فَالدَّرَجَاتُ مُسْتَعَارَةٌ لِقُوَّةِ الشَّرَفِ مِنِ اسْتِعَارَةِ الْمَحْسُوسِ لِلْمَعْقُولِ"[٢].

٢٠. العزيز مصاحبًا (يا، أيها) (من الآية: ٧٨ ، ٨٨):

. معنى العزيز المحوري: "يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَمَا ضَاهَاهُمَا، مِنْ غَلَبَةٍ وَقَهْرٍ"[٣]؛ ومنه العِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يُغلَب، وَالعَزيزُ: الذي يَقهر ولا يُقهر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة العنكبوت من الآية: ٢٦)، وعَزَزْتُ القومَ وأَعْزَزْتُهم وعَزَّزْتُهم: قَوَّيْتُهم وشَدَّدْتُهم؛ قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ (سورة يس من الآية: ١٤)؛ أَي قَوَّينا وشَدَّدنا، وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيضًا: رَجُلٌ عَزِيز.[٤]

خاطبوه بما يليق بالأكابر؛ قائلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ ليرق لهم في الابتداء حين جهلوه، فلمّا عرفوه قالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾؛ لأنّه لمّا

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير/ لابن الجوزي/ تح: عبد الرزاق المهدي ٢ / ٤٥٩، تفسير الرازي ١٨ / ٤٨٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٣ / ٣٢ ، ٣٣.

٣ معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨/ باب العين وما بعدها في المضاعف والمطابق والأصم/ ع ز.

(٤) انظر لسان العرب ٥ / ٣٧٦/ باب الزاي/ فصل العين/ ع ز ز.

ارتفعت الأجنبية سقط التكلّف فى المخاطبة،[١] ويعنون يا أيها الملك والعزيز القادر الممتنع بِمَا حصل لَهُ من وَاسع الْمَقْدُور، وكان العزيز لقب ملك مصر،[٢] ولما تلطفوا بتعظيمه؛ ترققوا بقولهم: (مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) أي لابسنا ملابسة نحسها، (وجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ)؛ أي تافهة غير مرغوب فيها بوجه.[٣]

. وصاحب العزيز النداء بـ (يا أيها)؛ لبعد المنزلة، وللتنبيه على أن ما بعدها له وقع عظيم، والنداء بالصفة الموحية بالعزة؛ للدلالة على علو المكانة والسيادة، وفي النداء استعطاف واستمالة، وفيه تكريم، وكذا في وصف العزيز، إضافة إلى (أل)؛ فكأنه العزيز الواحد المسيطر.

٢١. مصاحبة التقوى للصبر ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ (من الآية: ٩٠)

ـ من المصاحبات القرآنية: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ﴾ (سورة آل عمران من الآية: ١٢٠)، ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم﴾ (سورة آل عمران من الآية: ١٢٥)، ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (سورة آل عمران من الآية: ١٨٦).

- ونلاحظ في هذه المصاحبات وغيرها من المصاحبات القرآنية . ما عدا سورة يوسف . عليه السلام . تقديم الصبر على التقوى، وفي سورة يوسف قدم

(١) انظر لطائف الإشارات/ للقشيري/ تح: إبراهيم البسيوني ٢ / ٢٠٣، السراج المنير ٢ / ١٢٨.

(٢) انظر تفسير القرآن/ للسمعاني/ تح: ياسر بن إبراهيم ٣ / ٥٤، لباب التأويل في معاني التنزيل/ للخازن/ تح: محمد علي ٢ / ٥٥٢.

(٣) انظر نظم الدرر ١٠ / ٢٠٤ ، ٢٠٥.

التقوى على الصبر؛ ولعل هذا مناسب لمقام يوسف . عليه السلام . حيث قوبل بامتحانات كثيرة جدًّا كان أهمها نجاحه في الاستعصام، وهو أكبر امتحان نجح فيه؛ لأن الاستعصام يحتاج تقوى قبل الصبر، تقوى تكون حاجزًا بينه وبين محارم الله؛ وهو ما كان عليه النبي الكريم . عليه السلام ..

معنى التقوى: التقوى هي جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يخاف، وفي تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور.(١)

. معنى الصبر: "أَصل الصَّبْرِ الحَبْس"(٢)؛ يقال: صَبَرْتُ الدّابّة: حبستها بلا علف، والصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النّفس لمصيبة سمّي صبرًا لا غير، ويُضَادُّهُ الجزع، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة، ويضادّه الجبن، .. وهكذا(٣).

ـ وللمفسرين في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ أقوال كثيرة؛ منها: يتقي الزنى ويصبر على العزوبة، أو يتقي الله . تعالى . ويصبر على بلواه،(٤) أو "مَنْ يَتَّقِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، وَيَصْبِرْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ . عَزَّ وَجَلَّ . عَلَيْهِ"(٥)،أو "مَنْ يَتَّقِ مَعَاصِيَ اللَّه وَيَصْبِرْ عَلَى أَذَى النَّاسِ"(٦) وَالْأَحْسَنُ أَلا تُخَصَّ التَّقْوَى بِحَالَةٍ وَلَا الصَّبْرُ؛ فهَذِهِ كُلُّهَا تَخْصِيصَاتٌ بِحَسَبِ حَالَةِ يُوسُفَ

(١) انظر المفردات/ ص ٨٨١/ كتاب الواو/ و ق ي.
(٢) لسان العرب ٤ / ٤٣٩/ باب الراء/ فصل الصاد/ ص ب ر.
(٣) انظر المفردات/ ص ٤٧٤/ كتاب الصاد/ ص ب ر.
(٤) انظرتفسير الماوردي ٣ / ٧٥.
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ للبغوي/ تح: عبد الرزاق المهدي ٢ / ٥١٢.
(٦) تفسير الرازي ١٨ / ٥٠٥.

. عليه السلام . وَنَوَازِلِه.[١]

. و"وضع المحسنين موضع الضمير؛ للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر"[٢]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ استئناف تعليلي لقوله: ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾[٣] "أَرَادَ يُوسُفُ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . تَعْلِيمَهُمْ وَسَائِلَ التَّعَرُّضِ إِلَى نِعَمِ اللَّهِ . تَعَالَى . وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّقْوَى وَالتَّخَلُّقِ بِالصَّبْرِ؛ تَعْرِيضًا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ وَفِي أَخِيهِ وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى إِيثَارِ أَبِيهِمْ إِيَّاهُمَا عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ أَفَانِينِ الْخَطَابَةِ أَنْ يَغْتَنِمَ الْوَاعِظُ الْفُرْصَةَ لِإِلْقَاءِ الْمَوْعِظَةِ، وَهِيَ فُرْصَةُ تَأَثُّرِ السَّامِعِ وَانْفِعَالِهِ وَظُهُورِ شَوَاهِدِ صِدْقِ الْوَاعِظِ فِي مَوْعِظَتِهِ"[٤].

٢٢. الإيثار مصاحبًا لفظ الجلالة (الله): ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ (الآية: ٩١).

. معنى الإيثار: أَثَر الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، ويستعار الأثر للفضل، والإيثار للتفضيل، وهو المراد هنا.[٥]

المراد من الآية الكريمة أنهم اعترفوا ليوسف . عليه السلام . قائلين: لَقَدْ فضلك الله علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين والملك، وإنّ شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم، لم نتق ولم نصبر، وأكّدوا إقرارهم بالقسم بقولهم:

(١) انظر البحر المحيط ٦ / ٣٢٠.
(٢) تفسير البيضاوي ٣ / ١٧٥.
(٣) تفسير القاسمي ٦ / ٢١٤.
(٤) التحرير والتنوير ١٣ / ٤٩.
(٥) انظر المفردات/ ص ٦٢/ كتاب الألف/ أ ث ر.

(تَاللَّهِ). [1]

ـ وإنما صاحبت الفعل (آثر) صِيغَةُ الْيَمِينِ وحرف التحقيق مقرونًا باللام؛ لبيان عِلْمهمْ وَيَقِينهمْ بِأَنَّ مَا نَالَهُ هُوَ تَفْضِيلٌ مِنَ اللَّهِ . تعالى . وَأَنَّهُمْ عَرَفُوا مَرْتَبَتَهُ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ إِفَادَةَ تَحْصِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ يُوسُفَ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . يَعْلَمُه،[2] كما صاحب الإيثار لفظ الجلالة فاعلًا؛ ليدل على عظم التكريم ليوسف . عليه السلام . فعطاء الله من التفضيل وغيره ليس فيه أدنى مجاملة؛ ذلك أن عطاء الربوبية يعطي للمؤمن والكافر على حد سواء، لكن الله العدل الحق آثره عليهم؛ فكأنهم يقولون له: أنت تستحق هذا التفضيل.

هذا؛ إضافة إلى ما سبق من مؤكدات (صيغة القسم وحرف التحقيق مقرونًا باللام) تدعم بلوغ يوسف . عليه السلام . هذه المنزلة يقينًا.

٢٣ـ إيتاء الملك مصاحبًا تعليم تأويل الأحاديث: ـ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (من الآية ١٠١).

ـ معنى المُلْك: المَلِكُ: هو المتصرّف بالأمر والنّهي في الجمهور، والمَلِك اسم لكلّ من يملك السياسة، إما في نفسه وذلك بالتّمكين من زمام قواه وصرفها عن هواها، وإما في غيره سواء تولّى ذلك أو لم يتولّ؛ قال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء من الآية: ٥٤) فالملك ضبط الشيء المتصرّف فيه بالحكم.[3]

ـ تأويل الأحاديث: سبق توضيحه.

---

(١) انظر لطائف الإشارات ٢ / ٢٠٤، الكشاف ٢ / ٥٠٢

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٣ / ٥٠.

(٣) انظر المفردات/ ص ٧٧٤ ، ٧٧٥ / كتاب الميم/ م ل ك.

والملك الذي أشار إليه قسمان: ملكه فى الظاهر من حيث الولاية، وملكه على نفسه؛ حيث عصمه الله . تعالى . من الفاحشة مع توفر كل أسبابها، وجائز أن يكون دخول (مِنْ) لِتُبين هذا الجنس من سائر الأجناس، ويكون المعنى: رب قد آتيتني الملك وعلمتني تأويل الأحاديث، مثل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ (سورة آل عمران من الآية: ٢٦)؛ يدل على ذلك قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ (سورة الحج من الآية: ٣٠) فالمعنى: واجْتَنِبوا الرجْسَ الذي هو الأوْثَان، أو (من) للتبعيض.(١)

ومعنى الآية: "قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته، وبسط له من الدنيا ما بسط من الكرامة، ومكن له فى الأرض: رب قد آتيتني ملك مصر، وجعلتنى متصرفًا فيها بالفعل؛ وإن كان لغيرى بالاسم، ولم يكن لى فيها حاسد ولا باغٍ؛ إذ أجريت الأمور على سنن العدل ووفق الحكمة والسداد"(٢)، وهكذا "بهذه الابتهالات وتلك التسابيح، يستقبل يوسف هذه النعم التي أنعم الله بها عليه؛ فيحدّث بنعمة ربّه، ويسبّحه بها، ويحمده عليها"(٣).

وافتتح بقد؛ لأنّ الحال حال توقع السامع لشرح حال الرؤيا (مِنَ المُلْكِ) بَعْدَ بُعْدِي منه جدًّا (وعَلَّمْتَنِي مِنْ)، أي: بعض (تَأْوِيلِ الأَحَادِيث) كما بشرني به أبي وأخبرتَ به أنت من التمكين والتعليم،[٤] وقوله: (قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ)؛

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٢٩، لطائف الإشارات ٢ / ٢٠٩ ، ٢١٠.
(٢) تفسير المراغي ١٣ / ٤٥.
(٣) التفسير القرآني ٧ / ٥٠ ، ٥١.
(٤) انظر السراج المنير ٢ / ١٣٨.

إِشَارَةٌ إِلَى تَعَلُّقِ النَّفْسِ بِعَالَمِ الْأَجْسَامِ، وَقَوْلُهُ: (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ)؛ إِشَارَةٌ إِلَى تَعَلُّقِهَا بِحَضْرَةِ جَلَالِ اللَّه،[1] "وَجَعَلَ الَّذِي أُوتِيَهُ بَعْضًا مِنَ الْمُلْكِ وَمِنَ التَّأْوِيلِ لِأَنَّ مَا أُوتِيَهُ بَعْضٌ مِنْ جِنْسِ الْمُلْكِ وَبَعْضٌ مِنَ التَّأْوِيلِ؛ إِشْعَارًا بِأَنَّ ذَلِكَ فِي جَانِبِ مُلْكِ اللَّهِ وَفِي جَانِبِ عِلْمِهِ شَيْءٌ قَلِيلٌ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمُلْكِ التَّصَرُّفَ الْعَظِيمَ الشَّبِيهَ بِتَصَرُّفِ الْمَلِكِ؛ إِذْ كَانَ يُوسُفُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ الْمُلْكَ بِرَأْيِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْمُلْكِ حَقِيقَتُهُ وَيَكُونُ التَّبْعِيضُ حَقِيقِيًّا، أَيْ آتَيْتَنِي بَعْضَ الْمُلْكِ لِأَنَّ الْمُلْكَ مَجْمُوعُ تَصَرُّفَاتٍ فِي أَمْرِ الرَّعِيَّةِ، وَكَانَ لِيُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْ ذَلِكَ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ"[2]، والترتيب على غير الظاهر ظاهر، وأما على الظاهر؛ فلعل تقديم إيتاء الملك على ذلك في الذكر؛ لأنه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله . سبحانه . والملك أعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وإن كان ذلك أيضا نعمة جليلة في نفسه.[3]

٢٤. الإلحاق بالصالحين: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (من الآية: ١٠١).

ـ من المصاحبات الواردة: قوله تعالى: (رب هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين) (سورة الشعراء من الآية: ٨٣).

ـ معنى الإلحاق المحوري: يَدُلُّ عَلَى إِدْرَاكِ شَيْءٍ وَبُلُوغِهِ إِلَى غَيْرِهِ؛ يُقَالُ: لَحِقَ فُلَانٌ فُلَانًا فَهُوَ لَاحِقٌ، وَأَلْحَقَ بِمَعْنَاهُ، وَرُبَّمَا قَالُوا: لَحِقْتُهُ: اتَّبَعْتُهُ، وَأَلْحَقْتُهُ: وَصَلْتُ إِلَيْه،[4] ولَحِقْتُهُ ولَحِقْتُ به: أدركته؛ قال تعالى:

(١) تفسير الرازي ١٨ / ٥١٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٣ / ٥٩.

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٤ / ٣٠٨، روح المعاني ٧ / ٥٩.

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٥ / ٢٣٨/ باب اللام والحاء وما يثلثهما/ ل ح ق.

﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ (سورة آل عمران من الآية: ١٧٠)، ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ (سورة الجمعة من الآية: ٣) [١].

ـ الصالحين: سبق بيان معناه.

تلك منزلة طلبها يوسف . عليه السلام . من ربه، وهذا . وإن كان دعاء؛ لكنه دعاء من نبي . عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . ورجاء النبي حق وواقع مؤكد بإذن الله . تعالى ..

. هذا؛ وقد ورد اعتراض على هذا الدعاء؛ فقيل: إَنَّ يُوسُفَ . عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَنْبِيَاءِ . عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَالصَّلَاحُ أَوَّلُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْوَاصِلُ إِلَى الْغَايَةِ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَطْلُبَ الْبِدَايَةَ؟ والجواب أنه أراد الإلحاق بِآبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَالْمَعْنَى: أَلْحِقْنِي بِهِمْ فِي ثَوَابِهِمْ ومراتبهم، أو إن أراد العموم فطلب الصلاح غير الإلحاق بأهل الصلاح؛ لأن اجتماع النفوس المشرقة بالأنوار الإلهية له أثر عظيم وفوائد جمة، فَإِذَا كَانَتْ مُتَنَاسِبَةً مُتَشَاكِلَةً؛ انْعَكَسَ النُّورُ الَّذِي فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى الْأُخْرَى؛ بِسَبَبِ تِلْكَ الْمُلَازَمَةِ وَالْمُجَانَسَةِ، فتَقْوَى تِلْكَ الْأَضْوَاءُ، وَمِثَالُ تِلْكَ الْأَحْوَالِ كالمرآة المستنيرة المتقابلة التي أشرقت الشمس عليها؛ فَهُنَاكَ يَقْوَى الضَّوْءُ وَيَكْمُلُ النُّورُ، وَيَنْتَهِي في الإشراق والبريق اللمعان إِلَى حَدٍّ لَا تُطِيقُهُ الْعُيُونُ وَالْأَبْصَارُ الضَّعِيفَةُ؛[٢] لأن الصالحين في درجات عالية من الرقي الإيماني ومنازل رفيعة من السمو العملي طاعة وعبادة وتقى وهدى؛ ولذا ارتقوا معالي الجنان، وتشوف الخلف إلى إدراك منازلهم، وتشوقوا إلى بلوغ مكانتهم، فهم يودون اللحاق بهم

(١) انظر المفردات/ ص ٧٣٧/ كتاب اللام/ ل ح ق.

(٢) انظر تفسير الرازي ١٨ / ٥١٨، تفسير النيسابوري ٤ / ١٢٧.

عملًا وجزاءً، يدعو كل منهم ربه أن يلحقه بالصالحين.(١)

ضوء عام

وصف الله تعالى يوسف . عليه السلام . بالإحسان في سورتين: السورة الأولى هي سورة الأنعام؛ حيث وصفه وصفًا عامًّا مع إخوانه الأنبياء . عليهم السلام .، والسورة الثانية هي سورته؛ حيث وصفه منفردًا خمس مرات، وهذا دليل على تأصّل الإحسان ورسوخه في شخص يوسف . عليه السلام . فقوله: ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (من الآية:٢٢)، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (من الآية:٥٦) لمحة إلى أنه . عليه السلام . وحده كل المحسنين، وكأنه أخذ كل جزاء المحسنين وكل أجرهم.

وهكذا كانت أكبر وأظهر صفة عند يوسف . عليه السلام . الإحسان؛ حيث وصفه بها ست مرات، ثم صفة تعليم تأويل الأحاديث ذكرت ثلاث مرات، ومثلها التمكين ثلاث مرات، ثم العزيز مرتين .. وهكذا.

وإنما كان الإحسان أكبر وأظهر؛ لأنه هو الأصل فإذا وجد؛ وجدت كل الصفات، وكأنه السبيل إلى كونه أهلًا للتمكين وغيره من النعم التي منَّ الله . تعالى . بها عليه: مكنه الله . تعالى .؛ لأنه محسن، وعلمه؛ لأنه محسن، وصار عزيز مصر؛ لأنه محسن، فكأن الإحسان هو القاعدة وسيترتب عليها ما بعدها.

كما اتفقت صفات له منفردًا في سورته مع صفات له مع إخوانه الأنبياء . عليهم السلام . في غير سورته . إضافة إلى الإحسان . هذه الصفات هي: الصلاح، والاجتباء، وإيتاء الحكم.

(١) انظر في البيان القرآني/ د عبد المنعم عبد الله/ ص ٣٩٠.

الخاتمة

أحمد الله . تعالى . الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وإخوانه المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فقد عكفت على بحثي هذا شهورًا أغذّي روحي وحواسي بسيرة هذا النبي المحسن الصالح الكريم؛ مستعينة بمنابع تفسير كتاب الله . تعالى . من كتب الأعلام المفسرين وكذا اللغويين، فعايشت أنوار القرآن الكريم المتمثلة في سورة يوسف . عليه السلام . والآيات التي تكلمت عن صفاته من سورة الأنعام وغافر أحاول جني الثمار؛ لعلي أستطيع أن أصور ما صادفني من مشاهد عظيمة من الشدة والفرج والحزن والسرور أثناء دراستي لصفاته . عليه السلام . وقد برزت أمامي مواطن العظمة في كتاب الله . عز وجل . في عرضه لسيرته . عليه السلام . من خلال ظاهرة المصاحبة حتى بلغ القمة الخالدة في دقة التعبير.

ولعل هذا هو ما جعل العرب يسلمون بعجزهم عن محاكاة القرآن؛ لأنه فوق طاقتهم، ولا شك أن جانبًا من هذا الإعجاز يرجع إلى آفاق المعنى السامقة؛ التي حلق فيها القرآن الكريم، فظلت أعناقهم لها خاضعين، وقضية الإعجاز القرآني قضية شهيرة مترامية الأبعاد؛[1] ولذا:

١ـ فإني أرجو أن نعتني بدراسة هذه المصاحبات الواردة في كتاب الله . عز وجل .؛ لتكون نواة لصنع معجم عربي يسجلها ويبين اختصاص كلٍّ بسياق معين؛ حيث تعين على إظهار وجوه الإعجاز القرآني.

٢. للمصاحبة اللغوية دور في فهم القصة القرآنية؛ حيث ظهر هذا جليًّا في فهم قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وفي وضوح صورة الحوار القرآني

(١) انظر المعنى اللغوي/ د محمد حسن جبل/ ص ٢٥.

(أو القصصي)؛ الذي يدل على تماسك نص القرآن الكريم.

٣ـ أن مادة اللغة العربية مرنة فسيحة تستطيع أن تحوي ظاهرة المصاحبة وغيرها من الظواهر؛ من خلال أمثلتها الثرة وإمكانياتها الواسعة.

٤ـ كان لغويونا العرب على وعي بظاهرة المصاحبة؛ وإن لم تكن معروفة عندهم بهذا الاسم.

٥. الإحسان هو أساس الصفات الحميدة، بل هو أساس الدين؛ ولذا كانت صفة الإحسان عند يوسف . عليه السلام . هي الغالبة على كل الصفات.

٦. الاقتداء بيوسف . عليه السلام . في إحسانه في مواقف حياته المختلفة؛ من صبر على الضراء، واعتراف بنعمة ربه عليه في السراء، وتذكره حاله الأولى من الشدة والكرب ليشكره دومًا؛ ولذا كانت قصته والحديث عنه علاجًا ناجحًا لكثير من الآثام والشدائد، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ (الأنعام من الآية: ٩٠).

٧ـ برز فضل العلم المقرون بالإحسان على صاحبه؛ فلولا علم يوسف . عليه السلام ـ وإحسانه؛ ما حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض ثم الدرجات العلى في الجنة.

٨ـ يجوز التزكية الصادقة للنفس؛ إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، قال تعالى على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ (من الآية: ٥٥)، كما لا يذم طلب الولاية؛ إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده؛ إن كان أعظم كفاءة من غيره.

١٠. أن الضيافة من سنن المرسلين، قال تعالى على لسان يوسف . عليه السلام . ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ (من الآية: ٥٩).

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)/ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم/ م. الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- أحكام القرآن/ أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)/ تح: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف/ م. دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط ١٤٠٥هـ.
- الإحسان في سورة يوسف/ مقال للدكتور عبد المنعم عبد الله/ مجلة منار الإسلام/ مدير التحرير: د علي محمد العجلة/ العدد (٣٨٦) السنة (٣٣) صفر الخير ١٤٢٨هـ . فبراير ٢٠٠٧م/ الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة.
. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)/ م دار إحياء التراث العربي – بيروت.
ـ إصلاح المنطق/ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: ٢٤٤هـ)/تح:محمد مرعب/ م. دار إحياء التراث العربي/ ط١ ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.
- إعراب القرآن/ أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)/ تح: عبد المنعم خليل إبراهيم/ م. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت/ ط١ ١٤٢١هـ.
. الإكليل في استنباط التنزيل/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)/ تح: سيف الدين عبد القادر الكاتب/ م. دار الكتب العلمية – بيروت/ ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

ـ الألفاظ الكتابية/ عبد الرحمن الهمذاني بن عيسى الهمذاني الكاتب/ م. دار المسلم.
ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)/ تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي/ م دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ – ١٤١٨ هـ.
ـ بحر العلوم/ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).
. البحر المحيط في التفسير/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)/ تح: صدقي محمد جميل/ م. دار الفكر – بيروت/ ط ١٤٢٠ هـ.
. البرهان في علوم القرآن/ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)/ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط١ ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م/ م. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه/ (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات).
. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)/ تح: محمد علي النجار/ م. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة/ ط جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م/ جـ ٤، ٥: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م/ جـ ٦: ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]/ عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨هـ)/ م. الترقي – دمشق/ ط١ /١٣٨٢هـ – ١٩٦٥م.
. البيان والتبيين/ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)/ م. دار الهلال، بيروت/ ط ١٤٢٣ هـ.

. تاج العروس من جواهر القاموس/ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)/ تح: مجموعة من المحققين/ م. دار الهداية.
. التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)/ م الدار التونسية للنشر – تونس/ ط ١٩٨٤م.
. التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)/ تح ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ م. دار الكتب العلمية بيروت –لبنان/ ط١ / ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.
ـ تفسير القرآن/ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)/ تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم/ م دار الوطن . الرياض – السعودية/ ط١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
ـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)/ م. الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ط ١٩٩٠ م.
. تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)/ تح: سامي ابن محمد سلامة/ م. دار طيبة للنشر والتوزيع/ ط٢ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
. تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)/ م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر/ ط١ / ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
. التفسير البياني للقرآن الكريم/ عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)/ م. دار المعارف – القاهرة/ ط ٧.

. التفسير القرآني للقرآن/ عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)/ م دار الفكر العربي – القاهرة.
. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ د وهبة بن مصطفى الزحيلي/ م. دار الفكر المعاصر . دمشق/ ط٢ . ١٤١٨ هـ..
. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)/ م. دار المعارف – القاهرة.
ـ جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري/ (ت ٣١٠هـ)/ تح: أحمد محمد شاكر/ م. مؤسسة الرسالة/ ط١ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)/ تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ م. دار الكتب المصرية – القاهرة/ ط٢ / ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
ـ جمهرة اللغة/ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)/ تح: رمزي منير بعلبكي/ م. دار العلم للملايين – بيروت/ ط١ ١٩٨٧م
. الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)/ تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود/ م دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط١ – ١٤١٨ هـ.
ـ دلائل الإعجاز/ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)/ تح: محمود محمد شاكر أبو فهر/ م. المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة/ ط٣ / ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
ـ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث/ د عبد الفتاح البركاوي/ ط١/ ١٤١١هـ . ١٩٩١م/ م. كويك حمادة الجريسي.
ـ ديوان جرير/ جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (٢٨ .

١١٠ هـ)/ زوائد : النسخة المكية المعدلة.
. ديوان ابن مقبل/ تميم بن أبي بن مقبل/ زوائد : النسخة المكية المعدلة.
. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)/ تح: علي عبد الباري عطية/ م. دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١/ ١٤١٥هـ.
. زاد المسير في علم التفسير/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي/ (ت ٥٩٧هـ)/ تح: عبد الرزاق المهدي/ م دار الكتاب العربي – بيروت/ ط١ – ١٤٢٢ هـ
. الزاهر في معاني كلمات الناس/ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) تح: د.حاتم صالح الضامن/ م. مؤسسة الرسالة – بيروت/ ط١ ١٤١٢ هـ. ١٩٩٢م.
. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير/ شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)/ م. بولاق (الأميرية) – القاهرة/ ط ١٢٨٥هـ.
ـ الشاء/ الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت: ٢١٦هـ)/ تح: د صبيح التميمي/ م. دار أسامة – لبنان / بيروت/ ط١ – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)/ م.محمد علي بيضون/ ط١ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
. علم اللغة/ د محمد حسن جبل/ ط ١٩٨١م/ رقم الإيداع ١٧٩٥/ ١٩٨٢.
. العين/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)/ تح د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي/ م دار ومكتبة الهلال.

. غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)/ تح: الشيخ زكريا عميرات/ م. دار الكتب العلميه – بيروت/ ط١ / ١٤١٦هـ..

ـ فتح القدير/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)/ م. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت/ ط ١ – ١٤١٤ هـ.

. الفروق اللغوية/ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري/ (ت نحو ٣٩٥هـ)/ تح: محمد إبراهيم سليم/ م. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

. فقه اللغة وسر العربية/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)/ تح: عبد الرزاق المهدي/ م. إحياء التراث العربي/ ط١ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية/ نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)/ م دار ركابي للنشر – مصر/ ط١ ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

. في البيان القرآني الموضوعي/ د عبد المنعم عبد الله حسن/ ط١ / ١٤٤٥هـ . ٢٠٢٤/ الأزهر الشريف/ مجمع البحوث الإسلامية (١٤ / ٥٥)/ رقم الإيداع: ٢٦٩٥٨ / ٢٠٢٣.

. الكتاب/ عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)/ تح: عبد السلام محمد هارون/ م. الخانجي، القاهرة/ ط٣/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)/ م. دار الكتاب العربي – بيروت/ ط٣ – ١٤٠٧ هـ/ الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن

المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى].
ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن/ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تح: الإمام أبي محمد بن عاشور/ مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي/ م: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان/ ط١/ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
ـ لباب التأويل في معاني التنزيل/ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)/ تح: تصحيح محمد علي شاهين/ م دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١ – ١٤١٥ هـ.
ـ اللباب في علوم الكتاب/ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)/ تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ م. دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان/ ط١ / ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.
. لسان العرب/ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ/ م. دار صادر – بيروت/ ط٣ – ١٤١٤ هـ/ الكتاب مذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين.
ـ لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)/ تح: إبراهيم البسيوني/ م الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر/ ط٣
ـ اللغة العربية معناها ومبناها/ د تمام حسان عمر/ م عالم الكتب/ ط٥ ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م.
ـ مباحث في التفسير الموضوعي/ مصطفى مسلم/ م. دار القلم/ ط٤ / ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
. محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)/ تح: محمد باسل عيون السود/ م. دار الكتب العلميه –

بيروت/ ط١ . ١٤١٨ هـ..

. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)/ تح: عبد السلام عبد الشافي محمد/ م. دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١- ١٤٢٢ هـ.

ـ المحكم والمحيط الأعظم/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]/ تح: عبد الحميد هنداوي/ م. دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١ /، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

ـ المخصص/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)/ تح: خليل إبراهيم جفال/ م. دار إحياء التراث العربي . بيروت/ ط١/ ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م.

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)/ تح: فؤاد علي منصور/ م. دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١ ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

ـ مشكل إعراب القرآن/ أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)/ تح: د. حاتم صالح الضامن/ م. مؤسسة الرسالة – بيروت/ ط٢ / ١٤٠٥هـ.

ـ المصاحبة في التعبير اللغوي/ د محمد حسن عبد العزيز/ م. دار الفكر العربي/ رقم الإيداع: ٣٨٩٢/ ١٩٩٠.

ـ المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف (كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان نموذجًا)/ د علاء طلعت أحمد/ م الآداب.

ـ المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية/ رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في أصول اللغة/ إعداد: حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني/ إشراف/ د عبد الحليم محمد عبد

الحليم/ ط١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م/ جامعة الأزهر/ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي/ م. المكتبة العلمية . بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي/ محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)/ تح: عبد الرزاق المهدي/ م دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط١ ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن وإعرابه/ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)/ م عالم الكتب – بيروت/ ط ١ / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب/ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)/ تح: إحسان عباس/ م. دار الغرب الإسلامي، بيروت/ ط١ ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
- معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)/ تح: عبد السلام محمد هارون/ م. دار الفكر/ ط ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث/ د محمد أحمد أبو الفرج/ م. دار النهضة العربية/ ط١٩٦٦م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم/ د محمد حسن جبل/ ط١ . ٢٠١٠م/ م. الآداب/ رقم الإيداع: ١٣٦٥٧/ ٢٠١٠.
- المعنى اللغوي: دراسة عربية مؤصلة نظريًّا وتطبيقيًّا/ د محمد حسن جبل/ م. الآداب/ رقم الإيداع: ٧٤٦٢ لسنة ٢٠٠٥م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)/ م دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٣ – ١٤٢٠ هـ.

. المفردات في غريب القرآن/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)/ تح: صفوان عدنان الداودي/ م. دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ ط١ – ١٤١٢ هـ.

. الموسوعة القرآنية: خصائص السور/ جعفر شرف الدين/ تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي/ م. دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت/ ط١ . ١٤٢٠ هـ.

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)/ م. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي)/ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)/ تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم/ م دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

ـ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه/ أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)/ تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة/ إشراف أ.د : الشاهد البوشيخي/ م مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة/ ط١/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٢٧٩
ترجمة الملخص.	١٢٨٠
المقدمة	١٢٨١
التمهيد: المطلب الأول: يوسف ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم.	١٢٨٧
المطلب الثاني: المصاحبة اللغوية.	١٢٩١
المبحث الأول: صفات يوسف ـ عليه السلام ـ في غير سورته.	١٣٠٠
أولًا: صفاته ـ عليه السلام ـ في سورة الأنعام.	١٣٠٠
ثانيًا: صفاته ـ عليه السلام ـ في سورة غافر.	١٣١٠
المبحث الثاني: صفات يوسف ـ عليه السلام ـ في سورته.	١٣١٣
ضوء عام.	١٣٥١
الخاتمة	١٣٥٢
فهرس المصادر والمراجع.	١٣٥٤
محتويات البحث.	١٣٦٤